الجزء السابع السنة الخامسة



مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية
تصدر في نيويورك مرتين في الشهر
وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٤

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

النظرة الاولى

٣

﴿ نيويورك ﴾ يرى القارئ في الرسم المنشور بجانب هذه الصفحة ان نيويورك ثلاثة اقسام . مدينة نيويورك نفسها . ومدينة بروكلن التي يجمع بينها وبين نيويورك جسر بروكلن المشهور الظاهر في يمين هذا الرسم . ومدينة نيوجرزي التي يفصل بينها وبين نيويورك نهر هدسن في غربي نيويورك وان كانت هذه المدينة غير تابعة لها . وقد كان اسمها قديماً (نيو امستردام) اي امستردام الجديدة وقد سميت كذلك لان الهولانديين الذين اكتشفوها في سنة ١٦٠٩ سموها باسم عاصمتهم (امستردام)

وولاية نيويورك نفسها شبه جزيرة بين النهر الشرقي في شرقها ونهر هدسن في غربها .

وسمي هذا النهر بهذا الاسم نسبة الى هنري هدسن الانكليزي احد عمال هولانده في سنة ١٦٠٩ لانه هو الذي اكتشف هذا النهر . ولما حلّ الهولانديون في ارض نيويورك كانت هذه الجزيرة تسمى (جزيرة ماناتان) وقد ابتاعها اول حاكم هولاندي من سكانها الهنود الاصليين بقيمة ٢٥ ريالاً ..

وفي سنة ١٦٦٤ اغتنم الانكليز احدى الفرص واستولوا على مستعمرة هولانده في هذه الجهات وكانت تدعي (هولانده الجديدة) فسموا (امستردام الجديدة) باسم (نيويورك) نسبة الى دوق اوف يورك شقيق ملك انكلترا شارل الثاني . ولما قام الاميركان لحرب الاستقلال بقيت (نيويورك) آخر حصن للانكليز ولم تسلم الى الاميركان الا بعد التوقيع على شروط الصلح . وقد جعلها جورج واشنطن محرر اميركا عاصمة الولايات في ذلك العهد

﴿ موقعها ومساحتها ﴾ هي واقعة بين الدرجة ٤١ و٤٢ من درجات العرض شمالاً وفي الدرجة ٧٦ من درجات الطول غرباً . وطول نيويورك وحدها اي شبه جزيرتها بين النهرين ١٦ ميلاً وعرضها يختلف بين اربعة اميال ونصف . وثلاثة ارباع الميل . ومساحتها ٢٢ ميلاً مربعاً . فليس في الارض كلها بقعة ضيقة من الارض كهذه البقعة تحتوي على ما تحتوي عليه نيويورك من زحام السكان وضخامة العمران وتزاحم الاشغال وكثرة الاموال

﴿ ميناؤها ﴾ يبتدئ ميناء نيويورك عند مصب نهر هدسن حول المدن الثلاث وينتهي عند الاوقيانس الاتلانتيكي . والمسافة بينها ١٨ ميلاً . ويصل بينه وبين الاتلانتيكي مضائق ماين وسويش وشيز سوت وجدنيز . ومساحه الميناء كله ٤٠ كيلومتراً مربعاً تدخل اليه وتخرج منه السفن البخارية لمائة شركة اميركية وغير اميركية . وان منظر ازدحام البواخر الماخرة فيه ذهاباً واياباً عشرات عشرات تحمل الثروة والركاب منها اليها ومنها الى اوروبا وسائر الاقطار لمنظرٌ لا يشعر بعظمته وجماله الا من رآه رأي العيان

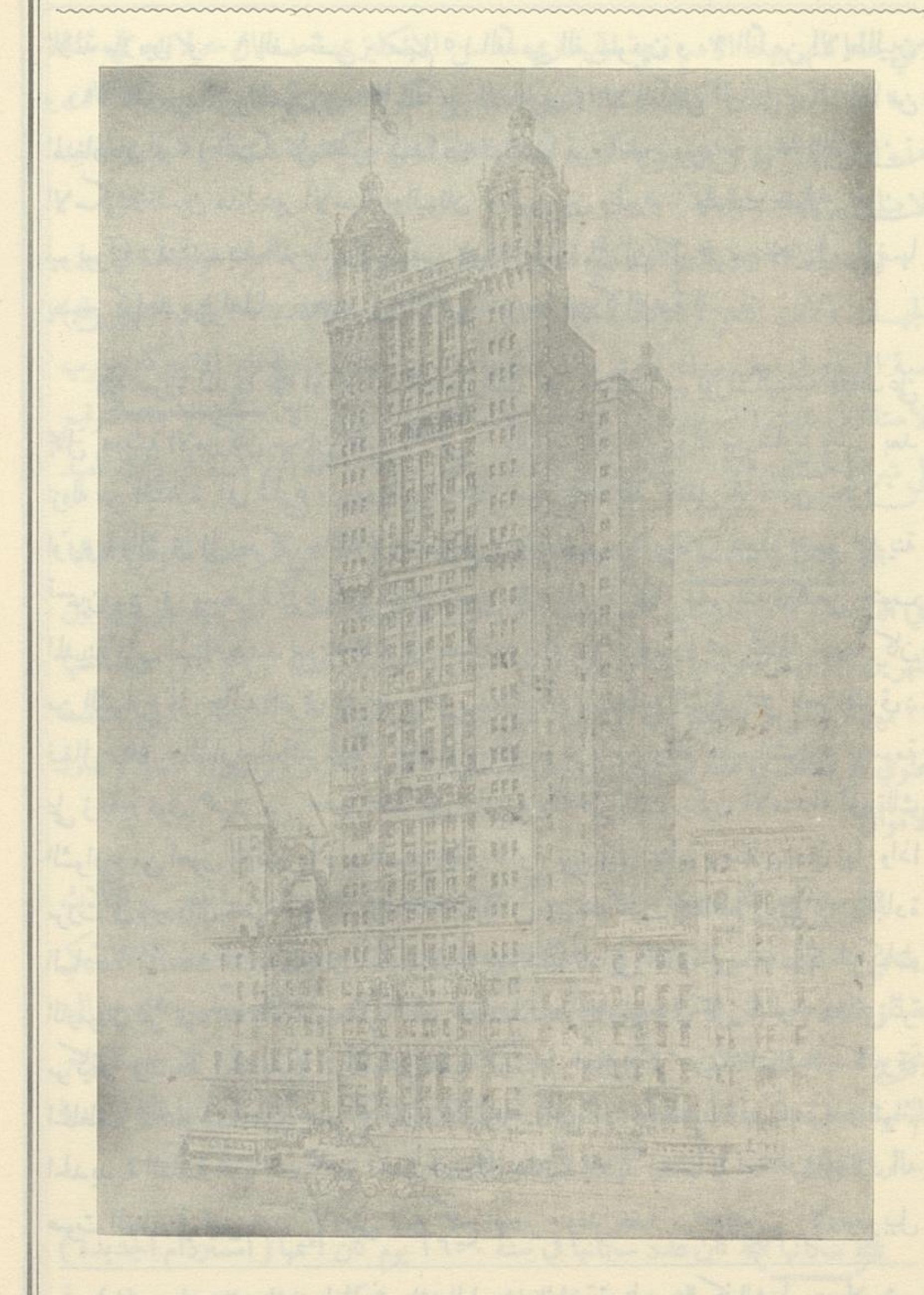
﴿ سكانها ﴾ كان عدد سكانها في سنة ١٦٥٠ يوم كان اسمها (امستردام الجديدة) نحو الف نفس يشتغلون بالزراعة وتجارة الجلود مع الهنود سكان البلاد الاصليين . وفي سنة ١٧٩٠ اصبح عددهم نحو ٣٤ الفاً وفي سنة ١٨٦٠ — ٨٣ الفاً وفي سنة ١٨٩٠ — مليوناً و ٥٠ الفاً وفي سنة ١٩٠٠ — ثلاثة ملايين نفس و ٤٤٠ الفاً . وفي هذا العام كان عددهم

ثلاثة ملايين و٩٠٠ الف نفس . منهم ١٥ الفاً من الفرنسويين و ٩٠ الفاً من الايطاليين و ٢٩٠ الفاً من الايرلنديين و ٣٥٠ الفاً من الالمانيين و ٧٥ الفاً من الروس و ١٦ الفاً من الهنغاريين و ١٢ الفاً من اهل كندا و ٢٥ الفاً من اسوج ونروج و ١٨ الفاً من الاسكوتلانديين هذا غير الاسبان واليونان والسوريين وغيرهم . ولذلك يقولون عن نيويورك « انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب يحل في ارضها يصبح كواحد من اهلها . وهذه مزية عظمى لشريعة اميركا الرحبة السهلة

❊ صورة المدينة ❊ اذا ذكرنا لك هنا شيئاً عن معيشة نيويورك اليومية وقفت على مجمل معيشة الاميركان سكان المدن العظمى . فالداخل الى نيويورك من شارع وست بعد نزوله من الباخرة الى شارع « برودواي » اعظم شوارع المدينة ينتقل فجأةً من سكون اوروبا والشرق الى حركة هائلة لا مثيل لها . وشارع برودواي (١) هذا يقسم المدينة قسمين ويمرّ في وسطها فكأنه المحور الذي تدور عليه المدينة كلها . وهو يبتدئ من جنوب المدينة قرب الميناء ويمتد مع ملحقاته الى مسافة ١٨ او ٢٠ كيلومتراً نحو شمالها . وما كان من الشوارع الى جانبه الغربي سمي باسم الغرب وما كان الى جانبه الشرقي سمي باسم الشرق . فيقال مثلاً « الشارع العاشر شرقاً والشارع التاسع غرباً » وارقام هذه الشوارع مرسومة على زجاج فوق عمود من حديد عند كل شارع وبناء على ذلك يكون الاهتداء الى تلك الشوارع من اهون الامور ما دام المسافر يجعل شارع برودواي بمثابة بوصلة يهتدي بها . واذا مررت في برودواي خصوصاً في الشارع الثالث والاربعين منه حيث يتقاطع برودواي والجادة السادسة (6 Ave.) فترى ان الحركة هناك تبلغ مبلغاً تضايق الذي لم يعتد عليها . فمركبات الترمواي تمرّ مزدحمة بالركاب مسرعة نحو جهات المدينة الاربع وفي كل ٤ او ٥ دقائق تمرّ مركبة . والسكة الحديدية المرتفعة في الهواء ارتفاع المنازل تمرّ عليها القطارات كالبرق الخاطف فيسمع لها دويّ يصم الآذان لاهتزاز دقائق الواح الحديد المبنية عليها والقوائم الحديدية القائمة تحتها . وتسمع تحت قدميك هديراً شديداً فتسأل عنه فيقال لك انه صوت القطار في نفق تحت الارض يسير كلمح البصر . وعدا هذا مركبات الاوتوموبيل

---

(١) معنى برودواي « الجادة » اي الطريق الواسعة ولم يسمَّ كذلك لسعته لان كثيراً من شوارع باريز اوسع منه ويقرب ان يكون عرضه عرض شارع شريف باشا بالاسكندرية وربما كان شارع شريف باشا انظف منه في كثير من الجوانب



بارك رو بلدن

ذو ثلاثين طبقة وهو اعلى مباني نيويورك . ارتفاعه ٣٨٧ قدماً

والخيل ومركبات البضائع تتفرق في الشوارع المختلفة كانها طيور تُطلق فيها . وبين هذه الوسائط الهائلة للنقل السريع الوف من الناس الغير الراكبين فيها يهرعون الى اعمالهم بنشاط الشباب وقلما تجد فيهم من يمشي منهم على مهل . واذا نظرت الى الابنية حولك ترى ما يدهشك في ارتفاعها . فانك تجد بينها ما ارتفاعه من عشر طبقات حتى خمس وعشرين حتى ثلاثين طبقة كالبناء الذي نشرنا رسمه في الصفحة السابقة . وان الصناع الاوربيين الذين يرون هذه المباني الشاهقة لا يرون فيها شيئاً من جمال الصناعة الحقيقية . وهم مصيبون في رأيهم هذا اذا كانوا يريدون قياس جمالها على جمال فن البناء الروماني واليوناني والغوتي في اوروبا . ولكنهم اذا تأملوا ملياً وجدوا لهذه المباني التي اخترعها الاميركان للقيام بحاجات المدينة جمالاً خاصاً بها وهو جمال العظمة والضخامة . فهنا كل شيء يعدُّ جميلاً انما يكون جماله بعظمته وضخامته ومتانته لا برقته ونحافته ودقته . ولعل هذا هو الفارق الحقيقي بين جمال الفن الاوروبي والفن الاميركي . وكل ما رأيناه في اميركا حتى الآن يثبتنا في هذا الرأي

فنحو اربعة ملايين نفس تتنقل كل يوم بنشاط غريب بين تلك المباني في تلك المركبات على الارض وفوق الارض وتحت الارض بين فرقعة وضوضاء تزهق منها نفس المسافر في اول يوم . واذا حللت هذه الضوضاء وجدت انها ناشئة عن اصوات القطارات والمركبات واجراس الترمواي واحتكاك الحديد واقدام المارة وفراغ الهواء وامتلاؤه عند مرور القطارات وصوت آلات البناء التي تبني الابنية الجديدة . اما الناس فقلما تسمع بينهم صوتاً . فترى واحدهم يمشي بثياب نظيفة جديدة مصقول الشعر احمر اللون حليق الشارب وفي فيه سيكار ضخم يعضّ عليه فيصبح فمه مفتوحاً ويظهر فيه لسانه يداعب عقب السيكار . فاذا كنت ممن لا يدخنون عراك اشمئزاز من هذا المنظر . وهو يمرُّ مسرعاً لانه اعتاد سرعة السير وان كان سائراً لغير شغل . وتجد على وجهه وفي عينيه من دلائل الحماسة للعمل ما يدلك على انه في منتهى النشاط الحيوي وان لم يكن على شيء من الرقة واللطف . وقلما تجد في النهار جماعة يمشون معاً لان الوقت وقت عمل . واذا دخلت الحانات وجدتها خالية خاوية الا عند الظهر وفي المساء . وقلما تجد في هذه الحانات اماكن للجلوس لان الناس يشربون الوسكي او البيره وقوفاً ثم ينطلقون في سبيلهم . وقد قابلنا بين هذه الطريقة وطريقة قهاوي اوروبا والشرق حيث يجلس الناس بكسل في القهاوي ساعات طويلة فرأينا ان طريقة اوروبا مدعاة الى تسهيل سبيل الكسل وحمدنا الطريقة الاميركية . وقد ذكرنا

معيشتهم عند طعام الظهر في الجزء الخامس فلا فائدة من العودة اليه

واذا دقت الساعة السادسة مساء اندفعت الالوف ومئات الالوف من الناس قاصدة منازلها ويبدأ حينئذٍ الهجوم على القطارات والمركبات للسبق الى الركوب فيها . واذا هجمتَ معهم وفتحت لنفسك طريقاً الى المركبة وصدمت في اثناء مرورك رجلاً او رجلين فلا تلتفت ولا تعتذر لان كلامك يذهب سدىً لان من صدمته لم يبالِ بصدمك ولا التفت اليك . فهو يرى هذا الصدام في الحياة مظهراً من مظاهر الحياة والنساء يهجمنَ مع الهاجمين نحو المركبات فلا يفسح لهم الرجال الطريق اذا لم يفتحنها فتحاً بقوتهنَّ . واذا بلغنَ المركبات وجدنها مزدحمة ووقفنَ فيها فقلما يقوم رجل لاجلاس احداهنَّ في محله الاَّ ما ندر

قوات اميركا العظمى

اسباب عظمة الامم قد ذكرنا آنفاً طرفاً من تاريخ نيويورك وعدد سكانها وحالة مينائها وطرق الاعمال والمعيشة اليومية فيها وقد كان الغرض منه الالمام بشيء من ذلك لا استيفاء تاريخ عمرانها لان القواميس وكتب الجغرافيا طافحة باخبارها التاريخية والجغرافية والعمرانية ومرمانا في هذه الفصول درس مدنية اميركا لا ذكر تاريخها . لان تاريخها شيء ثانوي قد مضى وانقضى فقلما نجد فيه فائدة . اما درسنا هذا الدرس في المدنية الاميركية من الجهة الاجتماعية فهو اكبر فائدة واجزل عائدة لانه يرينا الطريق الحقيقية الى الارتقاء الاجتماعي ويدلنا على اسباب نهضة اميركا هذه النهضة السريعة . وما التاريخ سوى عبارة عن ذكر حوادث خلت وامور مضت يستقيها كل قارىء من مصادرها في الكتب والقواميس التاريخية للتفكه بها بلا فائدة اجتماعية . ونريد الآن في هذا العصر الذي يدعى « العصر الاجتماعي » ان نعرف ما يقع امامنا و بعدنا لا ما وقع قبلنا

واننا نتذكر ان رصيفنا المقتطف الاغر قال منذ عدة سنوات جواباً على سؤال القته الجامعة يومئذٍ على اهل العلم والنظر بشأن « النهضة الادبية في الشرق » ما خلاصته انه يتمنى لو يذهب قوم من شرقنا الى اليابان ليدرسوا اسباب نهوض تلك الدولة . ولا شك ان درس حالة اليابان يفيدنا فائدة كبرى ولكن درس حالة اميركا اشدُّ فائدة لانها اجمع واوعى للقوات التي بها تنهض الامم . ومظاهر هذه القوات اوضح فيها منها في غيرها

وهذه القوات هي في الحقيقة خفية كأثير السماء لا تصل اليها الا العيون التي اعتادت النظر في الخفاء . واستخراج مبادىء الارتقاء مما يحيط بها في المعيشة العمومية اليومية من

غشاء . سل التاجر ما سبب عظمة اميركا يجبك انها عظيمة لانها بلاد تجارية واسعة كثيرة السكان فاذا صنعت فيها شيئاً من تراب الارض وعرضته فيها وجدت من يشتريه منك . وسل الزارع ما سبب عظمة اميركا يجبك لانها بلاد زراعية واسعة نخيرات الارض تغني اهلها . وسل الصانع يجبك لانها بلاد صناعية . وسل الكاتب يجبك لانها بلاد الحرية وهلم جرًّا . ولكن هذه الاجوبة كلها اجوبة « سطحية » . فان كثيراً من بلاد الشرق كمصر والاناضول والهند وفارس والصين مثلاً انما هي بلاد زراعية تجارية . وعدد سكان الهند مئات ملايين من النفوس ومع ذلك فهي لا تزال في الدرجة السفلى بازاء الامم النازلات في الدرجة الاولى . والصواب ان هناك اسباباً رئيسية خفية ترفع الامم وتحطها . وهي فوق تجارتها وصناعتها وزراعتها

السبب الاول

☀ النواة الاولى ☀ واول تلك الاسباب ما نسميه « النواة الأُولى » التي تجتمع حولها الامم وتتكوَّن بها شيئاً فشيئاً . قالوا في الرأي السديمي في خلق الكون ان الكون كان في مبداء امره سديماً (١) منتشراً في الفضاء ثم تحرَّك هذا السديم بفعل محرّك مجهول فجمدت منه نواة وصار سائره يجتمع ويجمد حول هذه النواة حتى جمد كله واصبح جسماً واحداً تفرّق بعدئذٍ وصار اجراماً . فهذه النواة هي الشرط الاول في جمود جميع الاجسام السائلة . والامم مَثلها مَثل هذه الاجسام

والنواة الاولى التي تتكون بها الامم ☀ جامعة عادلة قوية ☀

ونريد هنا بكلمة « الجامعة » عهداً يرتبط به جماعة نازلون في بقعة واحدة من الارض ويفوضون الى ممثليه بينهم بمطلق اختيارهم حماية ورعاية شؤُونهم العمومية ولذلك يفرضون على انفسهم الطاعة لهم وتأدية الضرائب اللازمة في عملهم هذا . وحيث ان ممثلي ذلك العهد وظيفتهم حماية ورعاية مصالح تلك الجماعة فعملهم يشمل امرين : الاول دفع كل ضرر عنهم والثاني جلب كل خير لهم . لانهم اقيموا لهذا الغرض

ونريد بكلمة « عادلة » في قولنا « جامعة عادلة » بناء ممثلي ذلك العهد جميع اعمالهم على مبادئ القسط والانصاف بين الجميع ليتمكن كل واحد من تلك الجماعة من العمل النافع له دون ان يخشى عدوان احد عليه لحرمانه ثمرة عمله او اضعاف همته او الحيلولة دون نموّه

(١) يعنون بالسديم هنا ضباباً غازياً رقيقاً عاماً

ونريد بكلمة « قوية » في قولنا « جامعة عادلة قوية » ان يكون لدى ممثلي ذلك العهد قوّة مادية غير القوّة الادبية تُلزم بها من يريدون الخروج عن دائرة العدل والانصاف بالرجوع عن عدوانهم . وربما كان هذا الشرط اهم شروط هذا التعريف لانه اذا لم يكن لممثلي ذلك العهد « هذه القوة » عجزوا عن اجراء العدل لان اهل العدوان لقوتهم عليهم يتمكنون من تجاوز الحدود المرسومة فيضيع العدل . ولسنا نقول الآن ان ثوار كوبا في الايام الاخيرة قد خرجوا عن حدود الانصاف والعدل بثورتهم على حكومتهم لاننا لا نعلم هل الحق في جانبهم ام في جانب حكومتهم . ولكننا نرى الآن ثورتهم هذه خير مثال لهذا الموضوع . واكثر ما يُحتاج الى هذه القوة في الامم الصغيرة خصوصاً الشرقية حيث تكثر الدسائس والفتن ويمكن لاي رجل يريد اثارة الناس ان يثيرهم بالتحمس الديني . فان الحاكم الذي هو ممثل ذلك العهد اذا لم يكن له قوّة على كبح جماح هذا الفريق عند ارادته ادخال الاصلاح في بلاده فانه يضطر الى مجاملتهم والجري في تيارهم لكراهتهم هذا الاصلاح الذي يبطل امتيازاتهم ويضرّ مصالحهم

وقد ضربنا في ما تقدم مثلاً في ثورة كوبا الاخيرة وهنا نضرب مثلاً في مسائل الشرق . فان اكثر بلايا الشرق مصدره أمران . الاول ضعف ملوكه وامرائه « ممثلي ذلك العهد الذي تقدم ذكره » من حيث شخصيتهم وكفائتهم والثاني كونهم اسراء حاشيتهم وحملة غاشيتهم فاذا أرادوا اصلاحاً حالت هذه الحاشية بينهم وبينه في اكثر الاحيان اما مباشرة بمقاومتهم سرًّا واما ضمناً بكتمانها الحقائق عنهم . واذا وجد منهم من يريد « الاصلاح قبل كل شيء » ولم يكن ذا كفاءة لوظيفته السامية ومزايا شخصية كبرى تمكنه من الاستبداد برأيه كما فعل بطرس الاكبر في روسيا يوم ادخل الاصلاح الى روسيا بالعنف والشدّة فانه يسهل على الحاشية او من يكرهون هذا الاصلاح لمخالفته مصالحهم او آراءهم مقاومته باثارة الشعب كما كان يفعل بطاركة بزنطية بامبراطرتها والفاتيكان بملوك اوروبا . فالسلطة التي تمثل ذلك « العهد » ان لم يكن لها مطلق الحرية والقوّة لتنفيذ الشرائع التي سنتها الجماعة باختيارها ورضيت بها فانها لا تصلح لان تكون نواة يجتمع حولها خيار الامة ليسيروا معها في سبيل الارتقاء . فالنقص الاول في بلاد المشرق هو عدم وجود « نواة قوية عادلة » تقبض على ازمة الحكم وفي يمناها سيف من نار لمقاومي الاصلاح في الامة وفي يسراها غصن من الزيتون ـ علامة الامن والسلام ـ لمريدي هذا الاصلاح . فحاجة الشرق الاولى هي الى « شخصية عظمى » ومن سوء الحظ ان هذه الشخصية لا تشرى ولا

تباع بين الناس . ولكنها هبة من الطبيعة كالماس

فاول سبب من اسباب انحطاط الشرق كون « ممثلي ذلك العهد » في بلاده من الملوك والامراء يرثون حق الرقابة على ذلك العهد ارثاً بدل ان تختار الامة من ابنائها من تراه اقدر واقوى على تمثيله وتنفيذ شروطه والقيام بعبئه . وبناءً على حق الارث تصبح ازمة السلطة العليا عرضة للصدفة والاتفاق . فاحياناً يكون الذي القيت اليه بحق ذلك الارث اهلاً لها وهو النادر جداً واحياناً يكون اي رجل في رعيته اكثر اهلية لها منه . وقد كان اعظم الاسباب في قيام دولة العرب في صدر الاسلام واتساع ملكها وعزّها ان الامارة « التي تمثل ذلك العهد » انما كانت تعطى بحق الانتخاب لأفضل واقدر رجل في الامة . قال الفيلسوف نيتشه ان الاسلام يحق له ان يفاخر برجاله الأول الذين اسسوا دولته الاولى . ولولاهم لما كان قدر ان يفعل شيئاً

فالنواة الاولى التي اجتمعت حولها الولايات المتحدة في بدء نشأتها كانت شخصية جورج واشنطن الكبرى محرر اميركا . وهي اليوم شخصية الرئيس روزفلت ممثل « ذلك العهد » في جمهورية الولايات . وانك لتسمع الناس احياناً يشبهون الرئيس روزفلت بالامبراطور غليوم من حيث افعاله واقواله في خطبه . على ان الرئيس رزفلت اهدا وارزن من امبراطور المانيا كثيراً ولكنه يضطر الى الظهور بهذا المظهر لانه يعلم انه « مصدر حركة جماعته » وعليه ان يكون في افعاله واقواله اول مثير فيهم للنشاط والقوة والفضل

السبب الثاني

﴿ ناموس بقاء الفضل ﴾ قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه « تهافت التهافت » : ان الافضل يُنسخ بما هو افضل منه . وهو الناموس الذي اثبته وبسطه العلامة داروين بعد ابن رشد بعدة قرون ويسمونه اليوم (بقاء الانسب او بقاء الاصلح) ونسميه نحن (بقاء الافضل) متابعة لابن رشد واضع هذه الكلمة . ومقتضى هذا الرأي ان الاشياء والاشخاص في الاجتماع والطبيعة تحتكُّ وتصطدم والزمان بمروره عليها يضعف مفضولها ويميته و يبقي افضلها و ينميه . وهذا الرأي صحيح في البيولوجيا (علم الحياة) وفي الطبيعة الجائرة المتروكة للفطرة والقوة البدنية . فالحيوانات الضعيفة في عرض البرّ تنقرض بجانب الحيوانات الضعيفة . ونوعها الضعيف من الجنس الواحد ينقرض بجانب نوعها القوي . فهناك لا نظام ولا شريعة غير شريعة الفطرة والغريزة الحيوانية . واما في الاجتماع فقد اصبح له في هذا الزمان خصوم

كثيرون خصوصاً في الحزب الحرّ في انكلترا وطن هذا الرأي . فان كبار مؤلفي هذا الحزب وعلمائه يقولون انه قد ثبت الآن في المدن الكبرى المزدحمة بالسكان والغاصة بالرذائل والفظائع ان الضعيف السافل لا ينقرض بازاء القوي الصحيح ولكن يعديه ويجعله ضعيفاً مثله . فان دائرة احياء الفساد والمسكرات في لندن مثلاً آخذة في الاتساع بدل ان تضيق . واشغال البورصة مبنية على الصدفة والمجازفة فقد يسقط فيها الاقوياء ويقوم الضعفاء . ولهم على ذلك ادلة وشواهد عديدة . ولكن اذا كان هذا الرأي مرجوحاً في الاجتماع سسيولوجياً وبيولوجياً فهو صحيح على الأرجح من حيث (الآداب السياسية والاجتماعية) التي هي موضوع الكلام هنا

ونريد (بالآداب السياسية والاجتماعية) مفعول الطرق التي تنفذ بها شرائع البلاد ومفعول الطرق التي تكوّن بها اخلاقها

قد ذكرنا في ما تقدم ان (اول نواة) تجتمع حولها الجماعة هي(شخصية الرجل الموكول اليه تمثيل ذلك العهد) . ولكن هذه الشخصية وحدها لا تكفي مهما كانت عظمتها ونشاطها ان لم يكن لها اعوان . واعوان هذه النواة الذين بدونهم لا يستقيم حال امة ثلاثة (الاول المجالس النيابية . (والثاني) قوة المعارضة لبقاء الافضل . (والثالث) حرية الجرائد

فلا يخفى ان لكل ولاية وكل امة مصالح خصوصية وعمومية . والتصرُّف في شؤونها يجب ان يكون على ايدي نواب منها درسوا حالاتها وعرفوا حاجاتها وآراءها . ولها هذا الحق بحكم الطاعة والضريبة التي فرضتها على نفسها للسلطة التي وكلت اليها حق السيادة عليها . فلزم عن هذا ان يكون لها نواب في المجلس التشريعي الذي يسنّ الشرائع النافذة فيها وذلك اولاً للمشاركة في سنّ هذه الشرائع وثانياً لحماية مصالحها من ان يصيبها ضرّ سواء كان هذا الضرّ من نفسها على نفسها او من استبداد ذات الهيئة الحاكمة بها او من اعتداء ولاية اخرى عليها . ومجموع نواب الولايات (الذين هم السلطة التشريعية) يكونون بمنزلة الوسيط بين مجموع الشعب وممثل العهد الذي مرّ ذكره الذي هو (السلطة التنفيذية) . فاي ضر او ظلم اصاب ولاية طيّرت خبره الى نوابها فيتولى نوابها الدفاع عن مصالحها في المجلس النيابي ويكشفون ظلامتها . وهكذا يتعذر على الهيئة الحاكمة ممثلة ذلك العهد ان تختلس السلطة التشريعية لتستبد بالامة . لان عملها كما تقدم في السبب الاول قاصر على السلطة التنفيذية اي تنفيذ الشرائع التي يسنها المجلس النيابي صاحب الحق وحده في السلطة التشريعية

وان اعظم ابتداع واكتشاف في تدبير الامم وسياسة الشعوب في العصر الحديث كان هذا الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية . وكل امة فيها هذا الفصل امة راقية . وكل امة عُدم هذا الفصل فيها امة ضعيفة تدور في دائرة الانحطاط . وبناءً على هذا الفصل وما يتبعه من حماية مصالح الولايات وحقوقها ينفسح لاهلها مجال العمل والأمن والعدل والارتقاء . اذ لا قيد يقيد حينئذٍ حرية الفرد غير قيد الشرائع العادلة المسنونة بالانصاف للجميع . فتثور الهمم للعمل لأمنها على ثمرة اعمالها ووجود من يحميها لها في الداخل والخارج . ويصير حينئذٍ (لكل امرئ ما سعى)

فرغنا من امر المجالس النيابية . والأمر الثاني (قوة المعارضة لبقاء الافضل)

ونعني (بقوة المعارضة) الاحزاب التي تتألف في المجلس النيابي لادارة سياسة الامة . وسبب تألف هذه الاحزاب اختلاف آراء النواب في طريقة السياسة وان كانت متفقة في المبادىء الاصلية . ووظيفة كل حزب امران . الاول مراقبة اعمال الحزب الآخر ومعارضته في كل ما لا يرى فيه خيراً للامة . والثاني وضع بيان بمطالبه ومبادئه والاصلاحات التي يريد اجراءها والسعي الى تحقيقها بجد ونشاط . فينشأ عن ذلك تنافس حميد عليه المعوَّل اليوم في السياسة الداخلية في جميع الامم الحية . ويصبح كل حزب متفانياً في تحقيق مبادئه بانياً اعماله على العدل والسداد لخوفه من معارضة الحزب الآخر فيمتنع الاستبداد بذلك . وهنا وصلنا الى مبداء « بقاء الافضل » فنقول ان هذا الاحتكاك بين آراء الاحزاب الفاضل والمفضول . والراجح والمرجوح . لا يبقي منها بعد حين غير افضلها واصلحها للامة . وما يثبت بعد تنفيذه انه ضعيف او مضرٌ بمصلحة الامة او بمصلحة جماعة منها يعدل عنه اما طوعاً او كرهاً لان الشعب منتخب النواب يلزمهم بهذا الرجوع اذا اصروا عليه . ولا نجهل الاعتراضات التي يُعترض بها على هذه الطريقة النيابية وتشعب آراء الاحزاب خصوصاً في الممالك الصغيرة التي لا قوّة فيها للرأي العام ليحترمه نوابها وحكامها او التي لا جامعة حقيقية تجمع احزابها المتنافرة لانها من اجناس مختلفة . ولكن اوروبا واميركا لم تنمُ هذا النموّ العظيم ولم توضع شرائعها الاجتماعية العادلة التي رقت شعوبها الا في ظل الطريقة النيابية ومعارضة الاحزاب . ولما كان اللورد سالسبري رئيساً للوزارة في انكلترا وكبيراً لحزب المحافظين وشهد اختلاف الحزب الحرّ وانقسامه قال في احدى خطبه انه يأسف لضعف الحزب الحرّ لان المعارضة القوية ضرورية لحسن سياسة الامة . ولكن تألف الاحزاب كما تقدم لا يوجب ان يكون اعضاؤها خرفاناً يتبعون بعضهم بعضاً . فانه لما كان المسيو

كومب رئيساً للوزراء في فرنسا وشرع في منع رجال الدين من التعليم خطر له ان يحتكر حق التعليم للحكومة وحدها ويمنع الجمعيات والافراد من هذا الحق. فتصدى له المسيو كليمنسو وهو راديكالي من حزبه ونصيره في سياسته ضد الاكليروس وقال له في جريدة الاورور: لا تُدخل سفينة الحكومة بين هذه الصخور فانك بعملك هذا تعطي الحزب المعارض لنا الحق بان يقول انك دست مبداء الحرية في التعليم ونقضت دستور الجمهورية فتقوى حجته علينا. فعدل المسيو كويب عن ذلك واحتالوا يومئذٍ لهذا الامر بان تركوا التعليم حرًا ولكنهم وضعوا قيوداً توصلهم الى غرضهم من اخراج الاكليريكيين منه وهذه القيود لا تمس الحرية بشيء لانهم يبيحون لهم التعليم على شرط ان يكون للحكومة حق المراقبة على تعليمهم وعلى نظاماتهم. و٩٥ في المائة منهم يأبون ذلك كل الاباء

واشدّ ما تبدو قوة هذه المعارضة وتاثيرها في حسن تدبير الامة انما هو في جمهورية فرنسا وجمهورية اميركا وهما الشعبان الكبيران اللذان يحكمان نفسهما بنفسهما حكماً حقيقياً. ولولاها لكان الحزب القابض على ازمة الاحكام يتكاسل ويخمل ويستبد بالامة على هواه كما يقع في البلاد الشرقية فتفسد احوال الامة بلا ريبة

ولكن هذه المعارضة لا تكون قوة حقيقية فعالة الاّ بالامر الثالث الذي اشرنا اليه آنفاً. وهو حرية الصحافة. وهنا نصل الى وظيفة الصحافة في الامة

للصحافة في الامة وظيفتان. الاولى اجتماعية والثانية سياسية. فوظيفتها الاجتماعية قائمة بان تنشر للناس ما يفيدهم في رفع نفوسهم واثارة نشاطهم ودلالتهم على طريقهم وتدبير شؤونهم الزراعية والصناعية والتجارية. ويدخل في ذلك محاربتها الشرور الاجتماعية التي تحلّ عزائم الامة وتفني نشاطها وتفسد امور معاشها. ووظيفتها الثانية ان تنشر لهم اعمال الحكومة ومقاصدها وما تتضمنه من الخطاء والصواب. فكأنها صلة غير رسمية بين الهيئة الحاكمة والمحكومة كما ان المجلس النيابي صلة رسمية بينهما. وانما يكون للصحافة هذه الوظيفة متى كانت لحزب اوشركة لا لفرد واحد يديرها بحسب مصالحه واهوائه ويكون غرضها تأييد مبادىء وافكار لا الارتزاق منها والاتجار. ومتى كان لكل حزب جرائد تؤيد رأيه وتعضده نشأ عن هذا الاحتكاك المستمرّ بناء على ناموس «بقاء الافضل» زوال الآراء الضعيفة المضرّة وبقاء الآراء القوية النافعة. فكانّ قوة المعارضة في المجلس النيابي «منخل» ينخل آراء المجلس ولا يبقي منها الا صحيحها ونافعها. والصحافة منخل آخر ينخل آراء الاحزاب على نور الحرية الساطع. وآخر مثال لتاثير الصحافة في اميركا

مسألة مجازر شيكاغو في هذا العام . وكل الاصلاحات التي تجري هنا وفي غير بلد انما تجري على هذه الطريقة . وقد سموا الكتّاب الذين يشنون الغارة هنا على المفاسد الاجتماعية « ملتقطي الوحل » اشارة الى انهم يتتبعون وحل الفساد لجرفه حيثما وجدوه

هذه هي الاسباب الاوَل التي تحتاج اليها كل امة لتتمكن بها من النهوض . وهي مستوفاة في اميركا اكثر من غيرها وان كانت الطريقة النيابية في اميركا تختلف عن الطريقة النيابية في اوروبا مما سنفصله في حينه . وقد ذكرنا في ما تقدم هذين السببين الاصليين في نهضة اميركا . وفي الجزء التالي سنذكر تتمة الاسباب مما خصت به هذه البلاد دون غيرها

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

دعهم كما تجدهم

ثم اشار المستر ووكر بعد ذلك الى فقرة من مقالة نشرت في مجلة ايدنبرغ سنة ١٨٣٣ عدّها اصح قول بشان جباية الضرائب بحسب الطاقة وهي : « لا جزية عادلة الا الجزية التي بعد ما تجبى من افراد الامة تتركهم في تناسبهم من كل قبيل كما وجدتهم » ثم جعل يبحث في القواعد الاساسية التي بني عليها نظام ضرب الضرائب الماضية والحاضرة ويمحصها ليتوصل الى اصح تفسير لهذه الآية . فلاحظ ان هناك اربع قواعد وهي : —

١ الضريبة التي ضربت على الثروة الحقيقية اي على رأس المال النقدي او العقاري

٢ الضرائب التي ضربت على الدخل او الريع السنوي

٣ الضرائب التي ضربت على نفقات المعيشة او على استهلاك الفرد للثروة

٤ الضرائب التي ضربت على القوة المستنفدة في العمل

هذه هي القواعد الاربع الاساسية التي بني عليها نظام الضرائب في ما مضى من عمر

العمران وقد بحث المسترووكر في كل واحدة منها ليرى كيف كان الافراد يدفعون الجزية ويظلون على نسبة واحدة . وهذه هي مباحثه : ـ

الضريبة على الثروة الحقيقية (١)

«الثروة مجموعة من موفرات الدخل . فاذا جعلت الضريبة على الثروة وحدها تكون بالحقيقة مضروبة على الموفر وتكون الحكومة شريكة الفرد في موفراته التي حرم نفسه التمتع بها لا في دخله . ولا مشاحة في ان الحكومة تجور كثيراً او قليلاً اذا كانت تجمع ضرائبها من الثروة التي وفرتها الامة من اصل نفقاتها بالبخل على نفسها لكي تحفظها الى حين الحاجة والعسر في المستقبل او لكي تثمرها بالاعمال المالية التي تزيد يسرها ويجبوحتها . نقول ذلك من وجه اقتصادي لانه اذا كان دخل الفرد يخصه وله حق التصرُّف المطلق به وانه اذا لم ينفقه كله في سبيل نعيمه وهنائه تشاركه الحكومة به وتقاسمه جزءًا منه فلماذا يستبقي قسماً منه ليجعله ثروة تشاركه الحكومة بها ؟ فضرب الضريبة على الثروة الحقيقية قصاص للناس على عدم استهلاكهم كل مكاسبهم او باوضح عبارة مثبطٌ لعزمهم على التوفير للتثمير وبالتالي مستوقف لثروة الامة عن نموها . هذا هو ضرره الاقتصادي وهو ولا ريب ضررٌ بينٌ»

وهنا اظن ان المسترووكر لم يهتدِ تماماً الى الجانب الركيك من هذه القاعدة . نعم ان ما تأخذه الحكومة من الضريبة على الثروة انما هو مما وفره الفرد من دخله وحرم نفسه التمتع به ليثمره اي ليجعله ثروة ذات ريع ولكن لا اظن ان ما تجبيه الحكومة من اصل هذا الموفر الآئل الى ثروة يثبط عزم الفرد على التوفير ويزهده بجمع الثروة ويزين له افضلية استهلاك دخله كله لان الموفر قلما يشعر بنقص ثروته بعد ما تأخذ الحكومة نصيبها القليل منه الا اذا كان نصيبها كبيراً تبلص الامة به بلصاً . ثم ان الفرد لا يصعب عليه ان يدفع القسم الزهيد من ثروته متى عرف انه وسائر افراد امته سواء في تحمل هذه الضريبة وان مؤداها لفائدة العموم ومصلحة الجمهور وان نصيبه من هذه الفائدة مناسب لما تجبيه الحكومة منه وانما تسفه هذه القاعدة بان هناك قواعد اخرى افضل منها كالضريبة على دخل الثروة لا على الثروة نفسها وبان الثروة التي لا قبل لصاحبها على انمائها وتثميرها باضافة ريعها اليها تنقرض شيئاً فشيئاً اذا كانت الحكومة تختزل كل عام جزءًا منها . هذا اهم اضرار هذه القاعدة وهو اشد من الضرر الذي المع اليه المسترووكر على ما اظن

1 Taxes on Realized wealth

الضريبة على الدخل السنوي (١)

والغريب ان المستر ووكر يسفه قاعدة « الضريبة على الدخل السنوي » في حين انها في نظر معظم الاقتصاديين اقرب القواعد الى العدالة حتى جرت عليها انكلترا والمانيا وهما تريانها ملائمة . وقد مثل على تخطئة هذه القاعدة بقوله : ـ « هب ان رجلين متعادلين في القوّة الطبيعية احدهما نشيط مجتهد يبكر الى عمله ويواظب عليه تمام المواظبة فينال دخلاً وافراً تشاركه الحكومة بقسم منه والآخر يهمل قوته الطبيعية فلا يستعملها ليسترزق بواسطتها بل يقضي حياته بالكسل والتواني قانعاً ببساطة العيش . فهل يحق للحكومة عليه اقل مما يحق لها على الاول ؟ فان كان الامر هكذا فكيف يجوز ان كسله يبخس الحكومة حقها الواجب عليه بالنسبة الى قوته وطاقته على العمل ؟ وكأنّ الحكومة وهي تضرب الضريبة على الثروة بدل الدخل تضع عقاباً على التوفير وتجازي المسرفين خيراً . وكذلك في ضربها الضريبة على الدخل بدل الطاقة تجازي الكسالى خيراً وتعاقب المجتهدين

وهنا اظن ايضاً ان المستر ووكر مغالٍ في تخطئة هذه القاعدة لاني لا اعتقد ان المجتهد الذي يحق للحكومة نصيب كبير من دخله الوفير يحسد الكسول الذي لا يحق لها من دخله الزهيد الا النزر اليسير . ولا يثبط عزمه على العمل او يقلل اجتهاده كون الحكومة تقاسمه جزءاً من دخله بل هو يتمنى ان يكون دخله اوفر ولو كان للحكومة منه نصيب اكبر . أعتقد ذلك واراه واقعاً في البلاد التي تجبي الحكومة العشور منها بالعدالة فان جباية العشور لم تثبط عزم الفلاحين عن الفلاحة والزراعة . والحكومة المصرية تتقاضى من اتعاب الفلاحين اكثر من سائر الحكومات ومع ذلك لم تثنِ هممهم عن العمل

وزد على ذلك ان معظم المكاسب التي يكسبها كبار المتمولين وعظماء الاغنياء منحوت من قوة العملة الذين يستخدمهم اولئك الاغنياء فاذا تقاضت الحكومة جزءاً من مكاسبهم الطائلة لتبذله في خدمة الجمهور وحماية الامة فلا تُعتبر مقاصةً لهم على اجتهادهم ولا مجازية الكسالى خيراً

ثم ان هناك كثيرين متساوين في المواهب والقوى والاجتهاد ولكنهم متفاوتون أي تفاوت في الكسب لاختلاف ظروفهم . فاختلاف هذه الظروف هو سبب اختلاف حقوق الحكومة عليهم

---

1 Revenue as the lasis of taxation

الضريبة على الانفاق (١)

قال السير وليم بتى مند قرنين : « من المسلم على العموم انه يجب على كل فرد من الرعية ان يدفع للمصلحة العامة (التي تديرها الحكومة) بنسبة حصته من الامن العام وفائدته منه اي بحسب حاله وغناه . والاغنياء نوعان غنيٌّ بالفعل وغنيٌّ بالقوة . فالاول يعتبر غنياً بحسب ما ياكله ويشربه ويلبسه وياوى اليه ويتمتع به فعلاً . والآخر يعتبر غنياً اذا كانت له قوة الاغنياء اي عنده مال للانفاق ولكنه لا ينفق على نفسه منه الا الضروري فما هو اذاً الا صيرفي تمرّ الاموال في يديه مرّاً فقط كأنه واسطة لتبادلها بين اولئك الذين يتمتعون بها . وبناءً عليه يجب على كل فرد ان يدفع من ماله للحكومة القيمة على المصلحة العامة بحسب ما يأخذه منه لنفسه ويتمتع به »

وبالنظر الى هذا القول يعتبر كل فرد من افراد الامة ذي ثروة معدة للتثمير لا للانفاق قيماً على ثروته بالمعنى الذي المع اليه السير وليم بتي . وعليه قال « ارثرينغ » : « الضرائب العادلة لا يجوز ان تمس الا نفقات الفرد على معيشته فان مست نوعاً آخر من نفقاته (كالنفقة على المشروعات العملية) سلبته جزءاً من العدة التي يعمل بها ما وجب عليه من اعمال البلاد العمرانية »

وقد سفه المستر ووكر هذه الاقوال كلها بقوله : « هل الاكل والشرب واللبس وسائر لوازم المعيشة هي كل ما يختصه الانسان بنفسه ويستهلكه من غير ان يثمره بحيث يتسنى للحكومة ان تضرب الضريبة على ثمنه فقط ؟ فهب ان مثرياً اخرق الرأي مولعاً بالفخفخة او مجازفاً على غير دراية او روية بذل ثروته على مشروع يبتغي منه الكسب ولكن هذا المشروع واهي الاساس متداعي البناء غير منظم على قواعد العمل القويمة بحيث لا شبهة في خسرانه وضياع المال فيه جزافاً . فلا ريب ان هذا المال الضائع لا تنال الحكومة منه نصيباً البتة لانه حينما أُوجد وكان دخلاً لم ترَ انها ذات حق بنصيب منه لتنفقه على المصلحة العامة اذ لم يكن حينئذٍ معداً لتمتع صاحبه الشخصي بل كان تحت نية التوفير ليعمل ثروة . وحينما وفر من اصل الدخل وصار ثروة لم يعد للحكومة حق بشيءٍ منه اذ لم يجتز في دائرة المستهلكات الشخصية ليكون لها حصة فيه . وكذلك لما بذل على مشروع فاسد لم تجسر ان تمد اليه يداً لان انفاقه لم يكن لاجل تمتع شخص بل لاجل عمل يقصد الى الكسب منه وان كان هذا

1 Expenditure as the lasis of taxation

العمل عقيماً لا يرجى منه ربح البتة · فترى ان هذا المال منذ اوجد الى ان استنفد لم يكن للحكومة حصة فيه مع انه وجد واستنفد تحت حمايتها · وكذلك لم يتمتع به صاحبه ولا احد من افراد الرعية مع انه في الاصل ثمن تعب وتقشف

وبناءً على ذلك يرى ووكر انه اذا كان رأس المال او الدخل يعفى من الضريبة لسبب انه لم يصر بعد مالاً للنفقة الشخصية بل يحتمل ان ينفق في طريقة عمرانية تفيد البلاد فللحكومة حق ان تسأل عما اذا كانت هذه الثروة تنفق في طريقة عمرانية تفيد البلاد على غاية ما يمكن ان تفيدها به

فللفرد من الرعية ان يعترض على الحكومة قائلاً ليس لكِ حقاً ان تضربي ضريبة على مالي هذا وتختزلي شيئاً منه لاني الى الآن لم انفق منه قرشاً على نفسي واني لعازم على ان اثمره في مشروع يفيد البلاد · ولكن الحكومة ترد اعتراضه قائلة · نعم ولكن يجب ان نقتنع بصحة هذا الوعد فيجب ان نحكم نحن في ما اذا كنت تثمر ثروتك في ما يفيد البلاد حقيقة · فادفع ما عليك من الضريبة وثمَّ لك ان تتصرّف بثروتك كما تشاء والا فاذا شئت ان تعفى من الضريبة بناءً على انك تخدم البلاد بمالك خدمة عمومية وجب ان تعمل عملك تحت رقابة الحكومة وسيطرتها » ثم استتلى ووكر موجزاً بما معناه : —

ولكن سيطرة الحكومة على اعمال الناس بحيث لا يبقى اصحابها الا وكلاء مؤتمنين عليها تفضي الى خطر جسيم كما انها تنافي احكام العقل · ووجه الخطر في ذلك انه اذا جعلت الحكومة تتسيطر على اعمال الرعايا المالية لكيلا تذهب تلك الاموال جزافاً ولا يضيع نصيب الحكومة مما يتمتع به صاحبها من ريعها اصبحت الحكومة صاحبة الثروة بالفعل ولم يبقَ صاحب الثروة الاصلي اذ ذاك الاَّ وكيلاً على ثروته يثمرها بمشروعات تخص الحكومة حتى اذا لم يقم بحق الوكالة كما تريد عزلته منها وقامت مقامه في استعمال ثروته · ولكن الاختبار قد اثبت ان الاشغال في يد الحكومة اقل كسباً منها في يد الشركات او الافراد · فمصلحة السكة الحديدية المصرية مثلاً يتضاعف ربحها اذا كانت في يد شركة لان الشركة لا تنظر الا الى مصلحتها فقط ولو قضت مصلحتها بظلم الجمهور والاجحاف به · واما الحكومة فارحم من الشركة بالجمهور ولذلك تلاحظ مصلحته قبل مصلحتها حين تدير السكة الحديدية بنفسها وذلك لان مديري السكة الحديدية الذين يديرونها باسم الحكومة ليس لهم غير رواتبهم · فلا يهمهم ان تربح المصلحة او ان تخسر وبالتالي لا يتخلون بمراعاة مصلحة الجمهور قبل مصلحة الحكومة لكي يكسبوا ثناء العموم · ولكن اذا كانت المصلحة بيد شركة فمديروها

يضحون مصلحة الجمهور لاجل نفع الشركة لان لهم نصيباً من هذا النفع باعتبار ان لهم معظم الاسهم

(ستأتي البقية)

شرٌّ اقوى من الحب

عروسان * فرّقت بينهما بنت الحان * ثم جمعتهما الاحزان

هي قصيدة لحضرة « نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني » وهي من الشعر الراقي الصحيح لفظاً ومعنىً · ومما يزيدها جمالاً استيفاء الناظم فيها شروط القصة من حيث « وحدة السياق مع تنوع الموضوع والملاحظة البسيكولوجية الصحيحة » وهذا الفن لا يدركه الاَّ اهل النظر والعلم · وما كل شعر يُنظم جدير بأن يسمى شعراً · وكم من قصيدة بليغة نظمها من امتن ما يكون ولكنها عديمة الفائدة ضعيفة القوى لعدم استيفائها تلك الشروط

هو الحبُّ في عهد الشبيبة يعذب   ولكنما حب العروسين اعذبُ
ولم يروَ في الاسفار أعجب من هوى   (جميلٍ وليلاه) ولا بعد يُكتبُ
عروسان والحب الوثيق مكللٌ   حبيبان والخلق الجميل محببُ
فؤادان في مهد الولاء توسدا   تُظلها روح الكمال وترقبُ
لقد مرحا في رحبة الصفو برهةً   يزينهما ثوب العفاف المطيبُ
اذا غابَ عنها برهةً في مهمةٍ   يذوب حنيناً قلبها المتلهبُ
وتنفحه عند اللقا بابتسامةٍ   فتطفي جوى احشائه وترطبُ
وتأخذ كفيه اشتياقاً وتنثني   اليه دلالاً وهو جذلانُ مطرَبُ
تُرجي به عوناً وغوثاً ونصرةً   وتحسبه الترس الذي ليس يعطبُ
اذا ما دعت لبي جميلٌ دعاءها   وجاد بعينيه اذا هي تطلبُ
كأني به قيسٌ يضحي بنفسه   لما تبتغيه منه ليلى وترغبُ
فكانا بفردوسٍ من الحب والوفا   ضحوكين والدنيا تجد وتلعبُ

وقد سكرا من خمرة السعد والهنا وقد غفلا والدهر يقظان يرقبُ

***

وفي ذات يوم اشعلتْ جذوة الهوى فوأاديهما والرشد اوشك يذهبُ
فكان يناجيها باسرار قلبه ويروي أحاديث الغرام ويُعربُ
فتقرئه في مقلتيها روايةً لها الحب يملي والملامح تكتبُ
تكلمه الحاظها وفوأاده سميع وصوت اللحظ للقلب مُطربُ
وداما يثيران الصبابة والجوى ونجواهما تذكي الحشى وتلهبُ
الى ان اباح الحب كل رغيبة واضحى على العقل الهوى يتغلبُ
فمازحها مستمتعاً بدلالها ولذّ لها استصباؤه والتحببُ
ولاح لها ان تستزيد سروره بكاسٍ من الصهبا فقالت «اتشربُ»
فقال لها : «حسبي بحبيك نشوة وان تسقني كفاك مراً فيعذبُ»
فقالت له : «لا بأس منها بجرعة» وجاءت بكاسٍ من شذاها تطيبُ
وقالت له : «هذي المدامة مهجتي أُذيبت فدعها في فوأادك تُسكبُ»
كذا جرعته الكاس وهو استطابها ومهما يكن عيش الهوى فهو اطيبُ

***

وصار يعيدان الرواية ليلة على ليلة والشيء للشيء يجلبُ
فكانا اذا فاضت عيونهما هوىً وقلبهما في وجده يتقلبُ
يطالبها بالكاس من كفها التي تعوّد منها انها لا تخيبُ
فتسقيه كأساً ثم تأبى استزاده عليه ولكن لا بني يتطلبُ
وتمنحه اخرى لرقة قلبها وتخشى اذا لم تستجبه فيغضب
فبات اسير الكاس معبوده الطلى وصار له في سنة الشرب مذهبُ
واشغله عن حب ليلى كؤوسها وعن وجده فعلُ الخمور المغلبُ
اذا حادثته كان كالطفل هاذياً وان مازحته فهو للنزق اقربُ
كذا حرمت ليلى لذيذ حديثه وقد جعلت تأسى لذاك وتنحبُ
وزهرة ذاك الحب مرّ ربيعها وباتت رياض الدل والزهو تجدبُ
وبهجة ذياك المحيا قد انقضت وصارت مياه البشر واللطف تنضبُ
يروح صباحاً كاسف البال ذابلاً ويأتي مساءً والجبين مقطبُ

فشقّ على ليلى شكاسة بعلها وحيرها استنكافه والتقلبُ
فكاد غمام الغم يخنق قلبها وطامي اساها ادمعٌ تتصببُ
لذلك آلت ان تخيّبَ قصده وتحرمه الخمر التي هو يشربُ
وان عُرّضت عفواً لثائر سخطه فنكبتها فيه من السخط اصعبُ
فكسرت الاقداح اهرقت الطلى وقالت : «كفى اني اداري وارهب»

***

ولما درى عند المساء بما جرى تغيظ منها واستوى يتعتبُ
فقامت تراضيه وتبغي انتصاحه فزاد استياءً وانثنى يتغضب
وراح الى الحانات يرتاد نهلة فرشفها صهباء في فيه تعذبُ
وافعم جوفاً من برود مزاجها فكانت لظى في قلبه تتلهب
ودبت الى اللب المصون وقد غدت تزعزع في اركانه وتقلب
الى ان تدجى في بصيرته الهدى واصبح لا يدري الى اين يذهب

***

فقلته رجلاه الى البيت صدفة فلاقته ليلى بابتسام ترحبُ
فبادرها كالصل ينفث سمه شتائم مثل السيل تهمي وتسكبُ
ومال عليها وهو يشهر مدية واغمدها في زندها وهي تهرب
وراح الى مقصورة النوم لا بعي وغادر ليلى بالدما تتخضبُ
صريعان هذي من بلاغة جرحها وذا من حمياه غدا يتقلبُ

***

ولما نضا الصبح البهي حلة الدجى وسال عن الافق الشعاع المذهبُ
افاق جميلٌ خائر العزم والقوى يغشي على تذكاره الامس غيهب
وجاء الى ليلى ليسأل حاجة نشاهدها في مهدها تتعذب
تئنُّ من الآلام تبكي من الاسى وترثي نعيماً زال عنها وتندبُ
واذ اعلمته ما جرى ذاب قلبه واوشك عنه لبه يتغيبُ
وقد عضّ كفيه ومزّق ثوبه واصبح من فرط التأسف ينحبُ
وقال لها : «نفسي فداك وها دمي اذا شئته كفارة فاقربُ»
فمدّت له ليلى يد الصفح والرضى وقالت له : «لا تبك ما انت مذنبُ

لقد كنتُ حوّاءً وقد كنتَ آدماً ... لذن كان ابليس الغرام يجربُ
فاول كاسٍ من يدي قد جرعتها ... وفي الجرعة الاولى البلاء المحجبُ
وهذا عقابي منك بالعدل نلته ... فحسبك من حالي المويع مؤنب
فصالحها والدمع يغسل جرحها ... فيا لك جباً بالدموع تطببُ
وعاهدها الا يذوق مدامة ... وقد تاب حتى لم يكن منه اتوبُ
ومرّضها حتى استتمت شفاءها ... وعاشا تمام العمر والعيش اطيبُ

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع لما قبله)

وكان سفر جاني على ما تقدم في الجزء السابق بعد مؤامرة بين ريشار وسكرتيره طمسن · فان طمسن اوهمها انه ذاهب بها الى منزلها في البرية والحقيقة انه كان ينوي السفر بها الى فرنسا لاخراجها من انكلترا · ومن هناك يعرّج على بلدة درلنتن حيث عقد زواجها بريشار فينزل ضيفاً على كاهن القرية ويحاول التوصل الى سجل الكنيسة لتمزيق عقد الزواج · وبينما كانت المركبة التي تقل طمسن وجاني سائرة في الاحراش خارج لندن كان شخص في ظلمة الليل يرصد الطريق ويقول

لقد ابعدوها ولم تجترم ... وهبت لها عاصفات العذاب
لينعم من بعدها زوجها ... بمجدٍ وجاهٍ بغير حساب
اجانيَ ان الحجى آفة ... ولو ان اهل الحجى في السحاب
واين العدالة والعادلو — ن فشيمة كل امرئ ان يحابي
لقد ضقتُ ذرعاً بهذا المصا — ب فماذا اعدّ لهذا المصاب
دهاني المشيب ولكنني ... ارى في قواي نشاط الشباب
وقد اغمض الليل اجفانه ... لكيلا يعزّ عليّ طلابي
وها تلك مركبة علها ... بجانيَ آخذة في اقتراب

وقد قربوا يا الهي فكن بفضلك عوني في كل ما بي

وكان قائل هذا القول مبراي نفسه وقد رصد هناك لانقاذ جاني . فلما وصلت المركبة هجم مبراي لانقاذها فقاومه طمسن فتبارزا فقتل مبراي طمسن ثم سار بجاني في المركبة الى منزلها القديم في البرية خارج لندن

وهنا وصلنا الى فصل الرواية الاخير . فان ريشار كان قد عزم في تلك الليلة على عقد قرانه بابنة المركيز سيلفا وقرر اجراء العقد في منزله في البرية الذي سارت اليه جاني بعد مقتل طمسن . فلما وصل مبراي بجاني الى هذا المنزل قالت جاني باكية . ما الحيلة يا رباه فانه لم يبقَ لديَّ ريب في انه يرغب في اخراجي من انكلترا ليتخلص مني . بل ربما كانت حياتي نفسها ثقيلة عليه . فقال مبراي تعزي يا جاني فقد بقيت لديَّ وسيلة لم استعملها بعد ولكنني متى استعملتها سحقتُ بها كبرياء ريشار سحقاً واعدته الى الطريق القويم . فقالت جاني مدهوشة وما هي هذه الوسيلة . فقال هي كلمة واحدة اقولها له ومتى قلتها اصبح ريشار تعيساً الى حد لا تذكر عنده تعاستك بجانب تعاسته . فقالت جاني آه فدع ذلك اذاً بحياتك لاني اكره تعذيبه وافضّل ان اتعذب وحدي . فقال كلاً يا جاني فانك لم تطلعي بعد على جميع مقاصد ريشار . فانه كما قصر في ما يجب عليه لك قد اخذ يقصر في ما يجب عليه لوطنه . واني اخشى ان يكون لفعله تأثير سيء على مستقبل انكلترا كلها . فقالت جاني فاصنع اذاً ما تراه حسناً

فسار مبراي يقصد لندن . وجلست جاني بعد مسيره بازاء النافذة في ظلمة ذلك الليل تندب حظها وتقول :

أأندب حظي او زماني الذي مضى	فما حرج ان اليتيمة تندبُ
دهتني صروف الدهر ما غادرت اخاً	ولا تركت اماً ولا دام لي ابُ
عجبتُ وهل في الناس مثلي شقية	على ان حالي لو درى الناس اعجبُ
يريح الدجى هذه العناصر كلها	واسهر وحدي في الدجى اتعذّبُ
وما نفس الليل الذي مرّ بارداً	عليَّ كانفاسي التي تتلهبُ
وما هو الاّ الهمّ ان حلّ بامرئ	فسيّان ما ياتي وما يتجنبُ

ثم قالت : ما اجمل هذه الطبيعة الهادئة تحت جنح هذا الظلام الدامس . كم قد وقفت في هذه النافذة اعد نجوم السماء واتامل في العمق الذي تحتها . آه عفواً يا اماه عما خطر احياناً في بالي وانا واقفة هنا . فانني كم قلت انني اذا القيت بنفسي من هذا العلوّ الشاهق

متُّ واسترحت من عذابي. ترى متى يعود مبراي .. ما هذا اني ارى مركبة على الطريق وكان القادم ريشار نفسه وقد تقدم العروس واهلها مصطحباً خادمه لاعداد المكان قبل وصولهم. فلما راته جاني يدخل من باب الحديقة ارتعدت فرائصها لانه كان يظن انها سائرة على طريق فرنسا. فاندفعت نحو احدى الغرف واختبأت بها من وجهه

ولما دخل ريشار امر خادمه فانار المصابيح والشموع ثم فتش في القاعه فوجد فيها قبعة جاني. فقال لقد احسنت في انني تقدمتهم للتفتيش في المنزل. ثم اخذ القبعة وقال اذا القيتها من النافذة فانهم سيرونها غداً في الحديقة وهذه الخزائن مقفلة فاين اضعها. فخطر له ان يضعها في الغرفة الداخلية فتقدم الى الغرفة ففتحها لوضع القبعة فيها وكانت هي الغرفة التي جعلتها جاني مخباءً لها. فلما فتح بابها صاحت جاني مذعورة :

فذعر ريشار وخطا الى وراء ثم تقدم وصاح من هذا. فاجابته : انا .. انا . استحلفك بالله ان لا تؤذيني. فقال وقد بلغ الغضب منه مبلغه : انتِ هنا ؟ انت هنا ؟ ايُّ شيطان يردّك اليَّ كلما ظننت انني تخلصت منكِ . من اعادك الى هنا . تكلمي تكلمي

جاني ــ مبراي مبراي

ريشار ــ مبراي ؟ دوماً مبراي . اين هو لاصبُّ غضبي على راس رجل لا على راس امرأة

جاني ــ قد سار الى لندن فعفواً عنه وعني

ريشار ــ وماذا جرى

جاني ــ لقد اوقف المركبة ..

ريشار ــ وبعد وبعد . قولي فقد كاد ينشقُّ صدري

جاني ــ وبعد ذلك تبارزا . وقتل مبراي طمسن

ريشار ــ ويلٌ له

جاني ــ عفواً عفواً

ريشار ــ جاني جاني اسمعي

جاني ــ ها . هذا صوت مركبة

ريشار ــ نعم وهي قادمة بزوجتي واسرتها

جاني ــ (بجنون) زوجتك وانا من انا اذاً

ريشار ــ بغضب شديد) انت .. انتِ ملاكي الشرير . انت الهاوية التي ستبتلع

جميع آمالي . انت الشيطان الذي يدفعني الى ارتكاب جناية

جاني ـ آه يا الهي

ريشار ـ وليس الذنب ذنبي بل ذنبك لانني سالتك الرضى بالطلاق فأبيتِ . سالتك السفر من انكلترا فلم تسافري

جاني ـ الآن ارضى . ارضى بكل ما تريد

ريشار ـ الآن قد فات الوقت

جاني ـ فماذا تصنع اذاً ؟

ريشار ـ لا اعلم وانما صلي . .

جاني ـ (مذعورة) ريشار . ريشار ماذا تقول

ريشار ـ اسكتي . الا تسمعين صوت اقدامهم . آه . انهم سيدخلون ويجدون امرأة عندي . . فماذا اقول لهم

ثم هجم ريشار على جاني فصاحت جاني : المعونة المعونة . . اليَّ اليَّ . فامسك بها ريشار وقال : اسمعي . يجب حين دخولهم الى هنا ان لا يجدوكِ في هذا المكان

جاني ـ ارحمني . ارحمني

ريشار ـ رحمتك كثيراً فلم تنفع رحمتي

ثم اخذها كالوحش الكاسر فسدَّ فاها بكفه وحملها وهي تضطرب وتختلج للتخلص منه ثم تقدم بها من الشرفة المطلة على الحديقة والقاها منها الى الارض من ذلك العلو الشاهق . وبعد ذلك عاد من جهة الشرفة وصفرة الموت تعلو وجهه والعرق يكسو جبينه

وان القلم ليقصر عن وصف هذا العمل الوحشي فنكتفي بما ذكرناه في احد الفصول السابقة وهو : اذا لم يكن الرجل العظيم عادلاً مستقيماً كان وجوده آفة وويلاً على الجنس البشري

ولم يكد ريشار يلقي الشهيدة جاني من الشرفة الى الحديقة حتى قُرع الباب . وكان القادمون المركيز سيلفا وامرأته وابنته العروس ووزير المالية وقد جاؤوا لكتابة عقد الزواج فلما دخلوا عليه قال له المركيز عفواً اذا كنا قد ازعجناك ايها السر ريشار لاننا راينا الباب مقفلاً عليك . فاجاب ريشار متلعثماً اهلاً وسهلاً . . لا لم اقفل الباب . وانما لا اعلم كيف كان المفتاح في الداخل . فقدم اليه المركيز زوجته وابنته ثم قال له : اني اراك اصفر اللون فهل تشكو ألماً . فاجاب متلعثماً « انا اصفر الوجه ؟ . هذا امر عرضي » تفضلوا

واجلسوا . فقال المركيز لقد تفضل سعادة الوزير ورضي بان يكون شاهداً للعروس فهل لديك شاهدك . فقال ريشار لسنا في حاجة الى شهود . فلنوقع على صك الزواج . ثم تناول قلماً للتوقيع . فقال المركيز . ما ليدك ترتجف ياسر ريشار . فاجاب . يدي ترتجف؟ لا ولكنك انت ترى ذلك

ولما همَّ ريشار بالتوقيع على صك الزواج واذا بصوت من الباب يصيح به : ينقصك شاهد للزواج يا ريشار . فهاءنذا

وكان صاحب الصوت مبراي نفسه وقد عاد من لندن . وفي اثناء مروره بالحديقة رأى فيها جاني المسكينة جثة باردة ففهم السبب وهرع بجنون ليرى قاتلها

. فالتفت اليه ريشار وقال بثبات جأش : سواء لدي انت ام رجل سواك . ثم دنا منه وقال همساً اياك ان تلفظ كلمة

مبراي ــ لا تتهدد . بل اترك التهديد لي

ريشار ــ « بغضب » وماذا تريد يا رجل ؟

مبراي ــ اخفض صوتك

ريشار ــ « بغضب » باي حق تطلب هذا الطلب

مبراي ــ انظر الى الشرفة . . .

ريشار ــ « مذعوراً » اخفض صوتك

مبراي ــ انت تعلم ماذا اقدر ان افعل بك بكلمة واحدة

ريشار ــ ولكنك لا تقولها

مبراي ــ لماذا

ريشار ــ لانه لو لم يكن هناك مانع يمنعك لقلتها

مبراي ــ ريشار ــ لا اسكت عنها الاَّ على شرط واحد

ريشار ــ وما هو

مبراي ــ ان تعدل عن الزواج بهذه الفتاة لامرٍ ذي شأن وتستعفي من مجلس العموم ثم تهجر لندن وتذهب معي الى مكان منفرد . انت لتندم . وانا لابكي

ريشار ــ انني ارفض طلبك

مبراي ــ رفضاً قطعياً ؟

ريشار ــ « ملتفتاً الى المركيز » وقع على الصك يا سيدي المركيز

وقد كان هذا الجدال بين ريشار ومبراي على انفراد فلم يسمعه احد غيرهما من الحاضرين فلما سمع مبراي كلام ريشار قال له : قف وعد الى رشدك والا ندمت حين لا يجدي الندم

ريشار ـ (للمركيز) وقع يا سيدي

فصاح هنا مبراي باعلى صوته : مركيز سيلفا مركيز سيلفا

المركيز ـ ما تريد ؟

مبراي ـ اتذكر قرية درلنتن

المركيز ـ ماذا تقول ؟...

مبراي ـ اتذكر تلك الليلة التي وصلتَ فيها الى تلك القرية وانت تفتش عن فتاة مخطوفة

المركيز ـ الزم الصمت يا سيدي ...

مبراي ـ لا تخف فانني لا اذكر اسمها لانني احترمها . اتذكر انها وضعت في تلك القرية غلاماً

المركيز ـ وبعد

مبراي ـ انك لم تشاهد ابا ذلك الغلام الا برهة ولكن ذلك كافٍ لأن تعرفه .. انظر اليَّ

المركيز ـ آه . انت هو ..

مبراي ـ نعم انا هو .

المركيز ـ فاذاً انت ...

مبراي ـ الجلاَّد . (ثم اشار الى ريشار) وهذا ابني

فقامت هاضجة في المكان . والتفت ريشار مصعوقاً نحو مبراي وقال بغضب : انت ابي ؟ وكيف تثبت ذلك بل اي فخر لي بان تكون ابي . وهل من دلائل الابوة ان تقف كل يوم في وجهي لمعاكسة اعمالي وتخييب آمالي . كلاَّ انا لا اعرفك يا رجل ولا اريد ان اعرفك

مبراي ـ كان لي عليك ايها الشاب حق الاحترام لشعري الابيض فقط . اما الآن فصار لي عليك حق الابوة ايضاً . فاخفض من كبريائك يا ريشار درلنتن الطامع المتكبر واحترم حقي الطبيعي

ريشار ـ ولكن اذا كنت ابي فاين امي . اين تلك المرأة الملعونه التي هجرتني منذ ولادتي
وكانت اللادي ويلور زوجة المركيز سيلفا ترتعد ارتعاداً في اثناء الكلام المتقدم .
فلما سمعت ريشار يقول هذا القول انطرحت جاثية امامه وصاحت : ريشار لا تلعني

فصاحت ابنتها المس ويلور ـ ريشار اخي

فقال مبراي ـ نعم هذه امك وهذه اختك من امك وكادت تكون زوجتك وهذه
زوجتك الحقيقية . وهنا دخل ثلاثة من الخدم يحملون جاني مضرَّجة بدمائها وهي مغمى عليها
ولما وضعت على المقعد افاقت وقالت بصوت ضعيف ـ آه انني اموت

ريشار ـ (وقد دنا منها) جاني جاني احيي فاني احبك (١)

جاني ـ (منتبهة وقائلة بصوت ضعيف) ريشار . هذا انت؟ تحبني ؟ . وزوجتك
الجديدة ؟

ريشار ـ هذه اختي لا زوجتي

جاني ـ كيف ؟

ريشار ـ نعم اختي اختي وليس لي من زوجة غيرك

جاني ـ آه هنيئاً لك . فانك وجدت اهلك . اما انا فانني ذاهبة الى اهلي .. آه
يا امي

ريشار ـ جاني هل تغفرين لي

جاني ـ آه . قل لي اولاً . احقيقي انك صرت تحبني

ريشار ـ بدون شك

جاني ـ « بصوت ضعيف متقطع » اذاً اموت مستريحة .. راضية .. غفر الله لك ياحبيبي
قالت هذا القول ثم اغمضت جفنيها ولفظت روحها

فقال احد الحاضرين ـ هكذا فليكن حب الزوجات وطاعة النساء

وقال قائل آخر ـ ان عيناً خفية تسهر على حرية الشعوب

وقال قائل ثالث ـ (مشيراً الى جثة جاني) ولكن قد تسقط في هذا السبيل ضحايا
تتصدَّع لها القلوب

« تمت الرواية »

(١) هنا كان الجمهور يضحك بالرغم منه لكلام ريشار الثقيل . وهذا الضحك وان
كان في غير محله الاَّ انه يدلُّ على ان روح الجمهور وان كانت ساذجة قد فهمت ما في هذا
الكلام من الدناءة واللؤم

صوت من بعيد

٣

هل في افريقيا وآسيا حركة اسلامية مركزها مصر

الجامعة الاسلامية

هذه تتمة البحث الذي بدأنا به في الجزئين السابقين بشأن مصر واحوالها السياسية

﴿مزيتان لهذا العصر﴾ يمتاز هذا العصر بحركتين . الاولى حركة عمومية والثانية حركة خصوصية . اما الحركة العمومية فهي قيام فريقين من الناس للدعوة الى تآخي الشعوب وابطال الحروب . غير ان لكل فريق منهما طريقاً تخالف طريق صاحبه . فاحدهما وهو حزب الاشتراكية يقول ان الناس في كل امة آكل ومأكول . وظالم ومظلوم . فطبقة النبلاء واصحاب المال تسخر لمصالحها طبقة الشعب والعمال وتستقطر دماءها استقطاراً في مقابلة اجور تافهة . وهي لا تحجم عن اثارة الحروب وايقاظ الفتن اذا كانت مصالحها المالية تقتضي ذلك وفي زمن الحرب تجلس بجبن في قصورها عاكفة على ملاهيها في حين ان الشعوب تتناحر وتتجازر في ساحة القتال . فعلى الشعوب اذاً ان تصحو من رقادها الطويل الذي دام قروناً عديدة وتتحد في كل امة وكل مملكة لمقاومة هذه المطامع والفظائع . وقد وضعوا لهذه المقاومة طريقين . الاولى داخلية ومقتضاها اجتماع العمال وتأليفهم جمعيات يسمونها « سنديكا » لتكون المدافعة عنهم لدى اصحاب الاعمال والوسيط لديهم في كل ضرر ينال عمالهم . وقد اضطرت الشرائع الاوروبية والاميركية الى الاعتراف بسلطة هذه الجمعيات واعتبرتها ممثلة للعمال وان ساء ذلك اصحاب الاعمال . والسلاح الاحد في ايدي هذه الجمعيات انما هو مسألة الاعتصاب المشهورة التي تُرغم بها اصحاب الاعمال على الرفق بعمالهم وتحسين احوالهم وكف الاذى عنهم . والطريقة الثانية خارجية وهي ان الشعوب والعمال لما رأوا ان عدوهم واحد وهو طبقة الاقوياء الذين يبتزونهم ويستثمرونهم كالحيوانات وجدوا ان مصلحتهم هي في تضامنهم واتحادهم على اعدائهم في الداخل . فاصبحوا يمدّون ايديهم بعضهم الى بعض من امة الى امة من فوق الحدود والاسوار التي تفصل الممالك والامم بعضها عن

بعض. ولذلك سموا انفسهم « اميين » والفوا لجنة دائمة دعوها « اللجنة الاشتراكية الامية » لادارة شؤونهم المختلطة . ومن حين الى حين يعقدون مؤتمراً عاماً يمثل جميع الاشتراكيين من الامم ويتباحثون في هذا المؤتمر كاعضاء حزب واحد. ولا يزال يدوي في الآذان حتى اليوم صدى خطبة بيل زعيم الاشتراكيين الالمان ضد جوريس زعيم الاشتراكيين الفرنسويين وذلك في مؤتمر امستردام منذ عامين حيث اخذ بيل على جوريس اتفاقه مع طبقة اصحاب المال في فرنسا لسن الشرائع الديموقراطية . فهو لا يرضى بهذا الاتفاق وان اثمر شرائع ترضى عنها الاشتراكية . وقد رأى هذا المؤتمر رأي بيل فغير جوريس بعد قراره هذا شيئاً من سياسته العمومية . وكلما اعترض على الاشتراكيين خصوصاً في فرنسا بانهم موالون للالمان اعداء وطنهم ومخدوعون بهذا الولاء الذي يجر على فرنسا البلاء ويضعف وطنية نابتة الفرنسويين فيجيبهم جوريس اننا في الازمات الصعبة بين فرنسا والمانيا سنؤثر على المانيا باتفاقنا مع اشتراكييها تاثيراً لا تؤثره عشرة جيوش حربية لانهم سيكونون اعواناً لنا ضد الحرب اذا خطر لالمانيا اثارة حرب عدوانية علينا اذ من مبادئ الحزب الاشتراكي مقاومة كل حرب تقصد بها الامة الاعتداء على امة اخرى لا الدفاع عن نفسها. واليك دليلاً اوضح من هذا على قوة هذه الحركة فان المسيو جوريس زعيم الاشتراكيين في فرنسا كتب منذ بضع سنوات كتاباً الى صديق له اشتراكي في ايطاليا يقول فيه : ان المحالفة الثلاثية « بين ايطاليا والمانيا والنمسا » كانت ضرورية لموازنة حماسة الحزب الفرنسوي الذي يريد الحرب . فلما نشر هذا الكتاب ادمت صاحبه جرائد فرنسا الغير الاشتراكية طعناً ونقداً

هذا احد الفريقين اللذين يدعوان الى السلم العام. واما الفريق الثاني فانه يدعو هذه الدعوة ولكن من طريق أخرى اسلم واحكم . ونريد بهذا الفريق اعضاء « حزب السلم والتحكيم العام » الذي يرى ان جميع المشاكل التي تقوم بين الحكومات وتثور بسببها الحروب يمكن فضها بالتحكيم الدولي بدل اراقة الدماء وتعطيل مصالح الناس . وانصار هذا الحزب آخذون في الازدياد وهم من خيرة الساسة والعلماء والاقتصاديين في كل امة. واول اغراضهم اليوم (ايقاف التسليح عند حده الحالي اولاً . ثم عقد الدول مؤتمراً لتقرير تركها السلاح تركاً نهائياً جميعها معاً) . وان في هذه الكلمة (جميعها معاً) امراً خطيراً لان خصوم هذا الحزب يقولون كلما دعا الحزب الى مبادئه ان دعوته هذه الى تجريد وطنه من السلاح تؤول الى جعل بلاده طعمة لكل آكل ولذلك يقول لهم (جميع الاوطان معاً)

هذه هي الحركة الاولى العمومية المزدوجة التي هي من مزايا العصر الحاضر ٠ وهي حركة سلم واخاء ٠ اما الحركة الثانية التي تقدمت الاشارة اليها وُتعد ايضاً من مزايا هذا العصر فهي حركة نكاد تكون ضدّها ٠ ونعني بها حركة (الجامعات) ففي العالم الآن عدة حركات مرماها الى تاليف جامعات خصوصية ٠ فهناك (الجامعة السلافية) و (الجامعة الجرمانية) (والجامعة اللاتينية) و (الجامعة الانجلوسكسونية) « والجامعة الصفراء » اي بين الجنس الاصفر في الصين واليابان ٠ « والجامعة السوداء » في افريقيا « والجامعة الاسلامية » التي عليها مدار الكلام في هذا الفصل

﴿ غرض هذه الجامعة ﴾ وقبل البحث في نفع هذه الجامعات او ضرّها يجب ان نبحث في غرضها ٠ واننا نرى غرضها يختلف باختلاف عناصرها ومبادئها وكيانها السياسي. فغرض الجامعة السلافية ضمّ جميع الشعوب التي هي من اصل سلافي تحت جنحي النسر الروسي وهذا هو السبب في احتضان روسيا السرب والبلغار ٠ ولالمانيا غرض مثل هذا الغرض من جامعتها الجرمانية في النمسا على الخصوص. واما الجامعة الصفراء فغرضها التعاون على كف ايدي اوروبا عن المداخلة في شؤونها ٠ واما الجامعة اللاتينية والسكسونية فغرضها اتفاق معنوي او محالفة فعلية بين العناصر التي تتالف منها كل واحدة من هاتين الجامعتين ٠ وبناءً على ذلك يكون في هذه الجامعات ما هو جائز في عرف السياسة والعدل كالجامعة الصفراء والجامعة اللاتينية والسكسونية لانها لا تعتدي على حقوق الامم ولا تخالف عرف السياسة والعدل ومنها ما هو غير جائز كالجامعة السلافية والجرمانية التي يقتضي العمل بها المداخلة في شؤون داخلية لدولة أُخرى مما يجلب الاضطراب ويثير الفتن بين البشر

فانت ترى في ما تقدم انه من الجائز للامم ان تتفق فيما بينها على غيرها دفاعاً عن مصالحها ٠ وان « الجامعة الاسلامية » التي كثر الكلام فيها في هذا الصيف في اوروبا ومصر ليست ببدعة جديدة في الارض ٠ ونحن ناظرون الان نظراً اجمالياً لنرى باي شيء تتفق مع تلك الجامعات وباي شيء تختلف عنها. لان الحكم في جوازها او عدم جوازها انما يتوقف على الحكم في هذا الامر

﴿ وجوه الوفاق والخلاف ﴾ يظهر لنا ان الجامعة الاسلامية تتفق مع اكثر تلك الجامعات في اشياء وتختلف عنها في اشياء ٠ اما الوجوه التي تتفق فيها مع تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول ان غرضها اولاً الدفاع عن نفسها وثانياً الرغبة في

السيادة الدنيوية بواسطتها (١) فهي آلة دفاع وهجوم . والوجه الثاني كونها مثلها متفرقة بين عدة امم اسلامية وحكومات مختلفة وافرادها يُعدون بالملايين . واما الوجوه التي تختلف فيها الجامعة الاسلامية عن تلك الجامعات فاخصها وجهان الوجه الاول من حيث اسمها وروحها. فان اسمها يجعل صبغتها دينية محضة . خلافاً للجامعة الجرمانية مثلاً التي هي جامعة جنسية محضة . واذا كانت الجامعة الاسلامية آلة سياسية لا دينية كما ذكرنا ذلك في المقالات السابقة فانما هي كذلك عند الخواص الذين يديرون حركتها وهم قلما يجسرون ان يجهروا بذلك لانهم يقطعون الطريق على انفسهم اذا جهروا به لان الحكومات التي تحكمهم او التي لمصالحها التصاق بمصالحهم تتصدى لهم بحجة اثارتهم الافكار واستعمالهم المبادىء الدينية وسيلة لغرضهم السياسي . بل هناك امر اعظم من هذا . وهو ان كلامهم لا يؤثر في جمع الشعوب الاسلامية المختلفة المصالح والعواطف الاّ من الوجه الديني . فاذا علم الشعب ان غرضهم السياسة لا الدين والدفاع عنه واعلاء كلمته على كلمة اي دين غيره فانه قلما يتأثر لكلامهم او يتبعهم . فالخلاف بين الجامعة الاسلامية والجامعة الجرمانية خلاف عظيم من هذا القبيل . ولعلَّ هذا هو السبب في ان اوروبا تجد الجامعة الاسلامية امرًا مستقبحًا عندها مع كونها تجد الجامعة الجرمانية امرًا معقولاً . وكلما قال لها اصحاب الجامعة الاسلامية ان عملهم مبنيٌّ على العدل والحق لانهم انما يطلبون انهاض انفسهم واسعاد احوالهم ليكون لهم اسوة بسائر الامم اجابتهم ان مطلبكم معقول مقبول وهو من حقكم ولكن طريقكم اليه طريق غير مقبولة لاننا نحن الاوروبيين لا يمكننا ان نفهم كيف يمكن انهاض الامم بالدين ولا عقولنا تُدرك كيف يمكن ان تكون علاقة بين الفارسي مثلاً والعربي مع كونهما من جنسين مختلفين محكومين بحكومتين مختلفتين مستقلتين . فيلزم عن ذلك ان يكون لكم غرض غير طلب الاستقلال وتأييد جنسيتكم وتاريخكم ونظن ان هذا الغرض هو اجتماعكم علينا كما هي سنة الضعفاء مع الاقوياء . ففي هذه الحالة لا نلومكم لان الحياة جهاد يفوز بها الاقوى . وانما نعتبر جامعتكم هذه ضدَّنا وعملكم لربط بعضكم ببعض عملاً لا تقصدون به غير العدوان علينا . فلا تلومونا

---

(١) المراد بقولنا «الدنيوية» ترجمة كلمة Mondial التي وضعها الامبراطور غليوم في احدى خطبه اصلاً لسياسته حيث قال ان سياسة المانيا Mondial ومراده سياسة السيادة في الدنيا

اذا نظرنا الى جامعتكم شزرًا

ووجه الخلاف هذا يجرنا الى الوجه الثاني من وجوه الخلاف بين الجامعة الاسلامية وتلك الجامعات . فالجرمانيون في النمسا مثلاً انما يتمسكون بالجامعة الجرمانية لرغبتهم في الانضمام الى جرمانيا لانهم من اصلها وتمنيهم ان يكونوا محكومين بالشرائع الجرمانية والروح الجرمانية والتاريخ الجرماني لانها شرائعهم وروحهم وتاريخهم . واما الجامعة الاسلامية في فارس وتركيا وامارات الهند المستقلة وافغانستان ومراكش فليس لها غرض كهذا الغرض لانها محكومة بشرائعها الخصوصية وباحكام تاريخها . فلها اذًا غرض آخر غير الرغبة في المعيشة بحسب مزاجها وارادتها . وفضلاً عن ذلك فهي من اجناس مختلفة بين عجمي وعربي وتركي وهندي ولا مصلحة تربطها بعضها ببعض غير ضغط اوروبا ورغبتها في النهوض من عثرتها . وافترض انها خلصت من ذاك الضغط ونهضت من عثرتها فانها لا تلبث ان تتفرّق كلمتها وتتخالف وتتنافر وتتحارب كما كانت في الزمن القديم يوم كانت سائدة قوية ولم يكن امامها اقوياء ينازعونها البقاء . فرغبتها اذًا في الانضمام بعضها الى بعض انما هي رغبة وقتية لا دائمة كما هي الحالة في جرمانيا

﴿ تاريخ نشأة الجامعة الاسلامية ﴾ ان السياسي الفرنسوي غبريل شارم يرجع تاريخ نشأة الجامعة الاسلامية الى عام ١٨٨٠ . فانه قال في تاريخه « مستقبل تركيا » ان اوروبا كانت يومئذٍ تحرّض اليونان سرًّا وتمدّها بالمال والسلاح لمحاربة تركيا توصلاً الى سلخ ولاية تساليا عنها قبل تحديد التخوم بينهما . وبينما كانت اليونان تهدّد الباب العالي بقطع العلائق السياسية اذا لم يعتبر ولاية تساليا داخلة في الحدود اليونانية كانت امارة الجبل الاسود تهدده بمثل ذلك التهديد اذا لم يسلمها مدينة دلسينو في حدودها . واساطيل الدول تستعد لمظاهرة حربية ارغامًا للباب العالي على هذا التسليم . وفوق ذلك تحركت السرب واخذت في حشد جيشها لتصطاد في الماء العكر . وكان الباب العالي يمانع اشد ممانعة ويدافع عن املاكه دفاعًا شديدًا . ولكنه لما رأى الفتنة في تونس واستعداد فرنسا للمداخلة الفعلية فيها هان عليه التسليم بكل شيء لليونان والجبل الاسود تفرغًا للمسألة التونسية . ولما احتلت فرنسا تونس وجاءت انكلترا تحتل مصر ضاعت ثقة جلالة السلطان باوروبا وبعدالتها فاخذ يلتمس له سندًا قويًا في آسيا ضدّ القوة الاوروبية التي كانت عازمة على اكل مملكته كما يؤكل الخرشوف ورقة ورقة . فاصبح الناس يقرأون في التلغرافات اليومية اخبارًا

كالخبر الآتي « يقال ان شريف مكة قد اشار على جلالة السلطان بنشر اللواء النبوي واعلان الجهاد » ولكنهم لم يلبثوا ان كذبوا هذا الخبر . على ان هناك خبراً آخر اقتبسناه من جرائد سنة ١٨٨٠ وهو رسمي لانه ورد في التلغراف عن لسان وكيل وزارة الخارجية الانكليزية وهذا نصه :

« لندن ٢٨ اغسطس (آب) »

« اثبت السر شارلس ديلك وكيل وزارة الخارجية وجود جريدة تطبع في المطبعة السلطانية بالاستانة تنشر في بلاد الهند خاصة متضمنة مقالات مهيجة للشعب على الحكومة الانكليزية وان الجناب السلطاني ينفق عليها من ماله . ولكن اجابة لطلب المستر غوشن الشديد « وهو السفير » امتنع الجناب السلطاني من اداء النفقة المذكورة فتعطلت الجريدة »

فيظهر من قوله « الهند خاصة » ان المقاومة كانت موجهة بالاكثر الى الدولة الانكليزية لانها كانت اشد الدول على الدولة العثمانية . واليك ايضاً خبراً آخر مقتبساً من جرائد تلك السنة (١٨٨٠)

« روت جريدة الطان عن مراسلها في برلين ان احد كبار الدولة وضع تاريخ الخلافة الاسلامية ورفعه الى الجناب السلطاني فسرّ بتلاوته وتأثر منها تأثراً شديداً حتى انه عزم على مقاومة اوروبا ورفض تداخلها في امور مملكته . وقد تم تعريب هذا الكتاب وأُرسل منه عدة نسخ الى البلاد الحجازية وآسيا الصغرى فتولد عنه ما شاع من ان امير المؤمنين سينشر العلم النبوي ويأمر بالجهاد المقدس للدفاع عن الوطن »

على انه ولئن كان في هذه الاخبار شيء من المبالغة الاّ ان مستقرئ تاريخ حوادث ذلك العام وما يليه لا يُحسب بعيداً من الصواب اذا حكم بان فكرة (الجامعة الاسلامية) انما نشأت في تلك السنة (ستأتي البقية)

﴿ الى حضرات المشتركين ﴾ ترجو دارة المجلة من المشتركين الذين لم يبعثوا اليها بقيمة اشتراكهم في المجلة سواء كان ذلك في امبركا الشمالية والجنوبية او خارجهما ان يتفضلوا بارسالها اما حوالة على البوسطة او شك على بنك او اوراق مالية امبركية في كتاب مسوكر او حوالة على احد تجار نيويورك ولهم الشكر مقدماً

﴿ اصلاح خطأ ﴾ ورد في الصفحة ٢٨٣ السطر الثاني (زوجة المركيز سيلفا) والصواب (ابنته)

رسائل ومسائل

دعوة للمهاجرين في اميركا

زارع سوري يدعو المهاجرين الى الزراعة

والجامعة تعضد دعوته (١)

حضرة صاحب مجلة الجامعة الغراء

اطلعتُ في الجزء السادس على حاشية من الجامعة تطلب فيها افادات بشأن الفلاح السوري في اميركا . ولما كنت ممن لهم معرفة بحالة الزارع السوري الاميركي لانني اتخذت الزراعة حرفة لي مدة سبع سنوات في هذه البلاد فقد بادرت الى اجابة طلبكم

«الامتلاك بحق الاقامة» قدمت الى هذه المقاطعة « Oklahoma » او « ارض الجمال » حيث بلغني من بعض الاميركان انها بلاد فتحت حديثاً ورغبة من الحكومة في تعميرها وجلب الناس اليها اعلنت ان كل شخص بالغ الرشد يحق له امتلاك مئة وستين فداناً من الارض اذا سكن فيها خمس سنوات دون ان يدفع شيئاً ثمناً للارض . بل انه يصلحها ويغرسها بالاشجار ويجني ارباحها بجده وتعبه وبعد السنوات الخمس المذكورة تسجلها الحكومة باسمه اي تجعل له حق ملكها ليتصرَّف بها كما يشاء . فحين حضوري وجدت خمس عشرة عائلة سورية في هذه الانحاء وهم مسجلون اسماءهم على اراضٍ فسيحة فسجلت اسمي مثلهم . وقد جاء مهندس الحكومة المعين لهذا الغرض ورسم لنا حدود الاراضي التي

(١) ان الجامعة بعد شكرها حضرة المراسل لرسالته المفيدة ترجو من جمهور المهاجرين في اميركا والذين ينوون القدوم من الشرق اليها ان يطالعوا هذه الرسالة بتأمل وامعان . ونكرر رجاءنا ثانية الى الذين يشتغلون بالزراعة في هذه البلاد ان يتحفوا الجامعة بكل ما يعلمونه بشأن هذا الموضوع فيكون لهم الفضل في اثارة مسألة يجب ان توجه افكار المهاجرين اليها خصوصاً اصحاب رؤوس المال الصغيرة

رُشحت لملكيتنا فعرف كلٌّ منا نصيبه وحدهُ . ومنذ ذلك الحين شمرنا عن ساعد الجد فبنينا بيوتاً لاقامتنا وسيجنا اراضينا وبدأْنا بالعمل . وبما اننا كنا نجهل فن الزراعة فقد كنا نستشير فيه جيراننا الاميركان فتدرب القسم الاكبر منا عليه وارينا الاهالي والحكومة نشاطنا ومقدرتنا على العمل فنظر الينا اولياء الامور بعين الاكرام واصبح لنا رأْي عندهم

❊ بعد السنوات الخمس ❊ في السنة الاولى والثانية من شروعنا في الزراعة لم نجنِ شيئاً يذكر لاننا كنا مهتمين باصلاح الارض . وفي السنة الثالثة غرسنا البساتين وزرعنا القطن والذره والبطاطا والبصل وغيرها فنتج لنا منها حاصلات غزيرة وارتفعت اسعار الاراضي وعمرت تلك الجهات بالسكان بعد ان كانت خاوية خالية لا يسكنها انس ولا جنٌ . ولما رأَت شركة السكة الحديدية اننا بحاجة لنقل حاصلاتنا مدت سكة حديدية من تشاكشه الى منغم على بعد ثمانية اميال من اراضي السوريين فزاد هذا الامر في تحسين قيمة الاراضي وتسهيل نقل الحاصلات . وفي السنة الرابعة شحنت بشركة احد الزراع كاراً من البصل زنته خمسمائة بشل وذلك لمدينة دنفر كاليردو . وهو اول كار من حاصلات « كرار Greer Co. » شحن للخارج

وفي السنة الخامسة دخلنا في الجنسية الاميركية وسجلت لنا الحكومة من تلك الاراضي لكل واحد ١٦٠ فداناً . وكانت اغلال تلك السنة اغزر من الاولى . فباع البعض منا اراضيهم وسافروا للوطن . والبعض باعوا وسافروا لجهات تكساس للتجارة . وهذه حالة اغلب السوريين في هذه الجهات . فهم متى تيسر حالهم يسافرون للوطن فاما انهم يبنون المنازل فيه واما انهم يتزوجون هناك ويعودون الى هذه البلاد لتعاطي التجارة . وبذلك يرتكبون خطأَين الاول اضاعتهم في سياحتهم هذه اموالهم التي جمعوها بعرق القربة اما على بناء منازل لا فائدة منها ولا ربح او بالاسراف في النفقة في مسقط رأْسهم . والثاني قطعهم اعمالهم واشغالهم بعد ان يكونوا قد وصلوا فيها الى درجة يمكنهم الاستفادة منها في المستقبل فائدة كبيرة لو لم يقطعوها

❊ هواء مزارعنا ❊ هو هواء نقي موافق للصحة « والمناخ » عندنا يشبه مناخ اراضي الجولان في سوريا ومياهنا عذبة وان كان بعضها مالحاً

❊ حاصلات زراعتنا ❊ حاصلات زراعتنا هي القطن وهو المعتمد عليه بالاكثر والقمح والشعير والذره الصفراء والحمراء والبيضاء وقصب السكر والمكانس والبصل والبطاطا والبطاطا الحلوة . وكل ما يزرعه الانسان ينمو في هذه الاراضي ويجود . اما اشجارها فقليلة

ولا يوجد فيها اشجار غير التي غرسها سكانها كالدراق والمشمش والاجاص والعنب والسفرجل والتفاح والخوخ والحور واللوكس . وقد كانت غلال السوريين في سنة ١٩٠٥ من القطن مائتي بالة زنة البالة محلولة ٥٠٠ بوند وقد بيعت باسعار جيدة من ٩ سنس الى ١٢٫ كل بوند . اما الذره الصفراء فكانت غلتهم منها الفي بشل ومن البيضاء والحمراء ثلاثة آلاف. وقد زرعنا في هذه السنة القمح والشعير فعاد علينا منهما غلة جيدة . فقد كانت غلة اكر الشعير من ٤٠ الى ٨٥ بشلاً . واكر القمح من ٢٥ الى ٣٥ بشلاً . اما القطن والذره الصفراء فلم نجنهما بعد وغلتهما في هذا العام اضعاف غلتهما في السنة الماضية

✻ المتاجرة بالاراضي . دعوة الى التجار ✻ ولقد ارتفعت اسعار الاراضي هنا وفي كل بلاد زراعية تعمر من جديد ارتفاعاً هائلاً فصارت القطعة ١٦٠ اكراً تباع من الفي الى خمسة آلاف ريال بحسب موقعها بعد ان لم تكن شيئاً مذكوراً . وعليه فالفلاحة في هذه البلاد تأتي بثمرة جيدة اذا كان الرجل رجل حزم وعزم ولا يعرف الكسل . والعكس بالعكس . ويا حبذا لو انتبه تجارنا الاغنياء الى احد امرين الاول الاقدام على احياء الاراضي المائتة هنا وامتلاكها باتفاقهم مع بعض الافراد فان ذلك يعود عليهم بارباح هي اضعاف فوائد اموالهم . فانهم كلهم من الكبير الى الصغير لا يفكرون بغير التجارة باصناف محدودة معلومة كثرت المزاحمة فيها وقلت ارباحها . ويعيشون بين اربعة جدران كل حياتهم بتعب ونصب وركض واهتمام يضني الجسم . اما الزراعة فاذا احسنت ادارتها خصوصاً بحسب الطرق العلمية الحديثة كانت اربح لهم فضلاً عن معيشتهم في هواء نقي يطيل العمر وينمي الجسم وينقي الخاطر وسط المزارع الخضراء والاشجار والازهار والطبيعة الجميلة . والامر الثاني الذي ادعوهم اليه اذا تعذر عليهم الميل الى الامر الاول مع ان كثيرين من اكابر الاغنياء الاميركيين هم من اكابر المزارعين هو المتاجرة بالاراضي المذكورة. فان ارتفاع اثمانها عاماً عن عام يجعل ربح التاجر من تجارته بها في عام واحد من ٢٥ الى ٧٥ في المائة . وهذا امر اختبرته بنفسي. وقد قدم الى هنا منذ سنة شقيق لي في نيويورك وابتاع ارضاً بقيمة ثمانمائة ريال . والآن ارتفع ثمنها الى ثلاثة آلاف ريال . فتأمل

Mangum Oklahoma, T. شاكر سالم الخوري

✻ الجامعة ✻ نؤمل من حضرات القراء اذا كان لاحدهم اعتراض على ما تقدم نشره في هذه الرسالة ان يبعث به الينا ونسدي الشكر لحضرته مقدماً . ثم نرجو من حضرة المراسل او غيره ان يجيبنا على الاسئلة التالية افادة للذين يهتمون بهذا الموضوع «١» ما هو رأس

المال اللازم لاصلاح وزراعة المائة وستين اكرًا التي تمنحها الحكومة لطالبها «٢» هل يستطيع الزارع اذا لم يكن في يده رأس المال المذكور ان يستقرض المال على الارض المذكورة او على تعبه فيها من اناس قريبين منها «٣» هل الامن سائد في جهاتها ولا خوف على حياته وعلى ثمرة تعبه هناك من سطو او اعتداء · «٤» اذا اراد الزارع ان يأخذ لنفسه اكثر من ١٦٠ اكرًا لاصلاحها وزراعتها فهل يؤذن له بذلك «٥» هل من ضريبة للحكومة على تلك الارض وما هو مقدارها «٦» بكم تقدر نفقة الشخص الواحد في السنة هناك بقطع النظر عن نفقة الارض والزراعة «٧» هل يمكن لمحترف الزراعة هناك ان يحترف حرفة اخرى معها

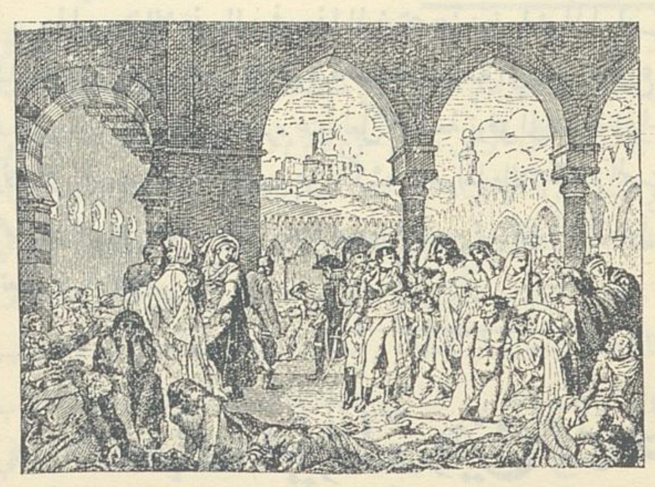
هذا وبعد الاخذ والرد في هذا الموضوع بين حضرات المراسلين اذا رأينا الخلاف شاسعًا بين آرائهم وسنحت لنا الفرصة سنذهب خاصة الى بعض مزارع السوريين في الداخلية لدرس حالتها ونشر ما يهم نشره عنها لعلّ الجامعة تُوفق الى خدمة المهاجرين اصحاب رؤوس الاموال الصغيرة خدمة تغنيهم عن الكشه واحوالها والاستخدام المميت القوى بتشجيعهم على عمل زراعي ينمي عقولهم وابدانهم ويصون آدابهم في بلاد انما هي قبل كل شيء بلاد زراعية تُعطى فيها الارض مجانًا

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

هذا باب جديد نفتحه في الجامعة وننشر فيه اشهر الصور واعظم الرسوم الموجودة في متاحف اوروبا واميركا والقصور الكبرى · والنسخة الاصلية لكل واحدة من هذه الصور المنشورة في هذا الباب قد يبلغ ثمنها مئات الوف فرنكات · ورب صورة بلغ ثمنها مليون فرنك او اكثر · وفي اثنائها ننشر تاريخ الرجال الذين يرد الكلام عليهم وشيئًا من ترجمتهم · المصوّرين والمصوَّرين

☀ نابوليون في يافا ☀ مطعونو يافا او نابوليون في يافا اسم رسم ثمين من اجمل الرسوم الفرنسوية · وقد رسمه الرسام كرو Gros الذي كان مرافقًا نابوليون في حملته على الشرق

وتفصيل الخبر ان نابوليون بعد ان فتح مصر زحف الى سوريا لفتحها ففتح بضع بلدان فيها حتى بلغ عكا فاستعصى عليه فتح حصنها . ولو تسنى له فتحه فربما كان تغير وجه المشرق . وقد كان في هذا اضعف من ابرهيم باشا المصري الذي تمكن من فتحه حين زحفه الى سوريا . ولما ارتد نابوليون خائباً كان التعب قد اضنى جنوده وفشا الطاعون بينهم في يافا وجدّت امور وراءه فعزم على الجلاء عن سوريا والعودة الى مصر . فأمر بقتل المطعونين من جنده بحجة انهم لا يجدون بعد سفره في يافا غير العذاب والقتل . وقد عدّ التاريخ هذا الامر الفظيع نقطة سوداء في تاريخ اعماله . اما هو فقد تمحل لنفسه غير مرة العذر ليبرىء نفسه من مسبة القسوة والهمجية



مطعونو يافا

ونابوليون يجس باصبعه دمامل الطاعون في اجسامهم

والرسم المنشور هنا رسم بضعة من اولئك المطعونين . وهو يمثل جامعاً في يافا حيث كان مستشفاهم وقد وقف نابوليون امام احدهم يجس باصبعه دمل الطاعون تحت ابطه كما ترى . ووراء نابوليون القائدان دي برتيه ودي بسيير . والى يمينه مطعون عاري الجسم يسنده احد اهالي يافا وبجانبه طبيب عثماني من اطباء يافا يبدل لفائف جروحه . وفي الصف الاول الى اليمين في زاوية الرسم مطعون يلفظ روحه على ركبتي ماسكلت وهو جراح فرنسوي شاب صديق لكرو صاحب الرسم . وقد توفي بعد مدة بالطاعون . وقد عُرض هذا الرسم في معرض الرسوم في باريز في عام ١٨٠٤ فعدّ من انخر الآثار التصويرية . وهو موجود اليوم في متحف اللوفر في باريز



يوسف يبيعه اخوته

وهو ينظر اليهم مستعطفاً حزيناً

﴿ يوسف يبيعه اخوته ﴾ قصة يوسف مشهورة في التوراة . فان اخوته باعوه لقافلة من الاسماعيليين حسداً له ثم ادعوا لدى ابيه يعقوب ان الذئب اكله . والاسماعيليون باعوه في مصر الى فوتيفار رئيس خصيان ملك مصر ووكيل اشغاله . وقصته مع زوجة فوتيفار مشهورة . وكذلك قصة سجنه وتعبيره حلم فرعون والقاء فرعون بعد ذلك ازمة الوزارة في مصر اليه . ثم مجيء اخوته الى مصر يطلبون القمح لامحال ارضهم وتعريفهم بنفسه . والراجح ان حادثة يوسف هذه وقعت في زمن دولة الهكسوس في مصر . والرسم الذي نشرناه هنا يمثل اخوة يوسف وهم يبيعونه للقافلة الاسماعيلية ويوسف ينظر اليهم مستعطفاً حزيناً . وقد رسمه فلاندرين وهو موجود اليوم في كنيسة سان جرمين دي بره في باريز

﴿ اجمل صورة نُشرت باللغة العربية ﴾ هي صورة نيويورك المنشورة في صدر هذا الجزء مأخوذة بالفوتوغراف من منطاد في اعالي الجو . وتظهر فيها المدن الثلاث بتمامها وتبدو مباني نيويورك الشامخة والسفن البخارية الكبرى الراسية في احواضها في شاطىء النهر والمرفاء باقل من سنتيمتر . ويرى قراؤنا الكرام في ما ادخلناه على المجلة من التحسين من حيث رسومها وورقها وطبعها وزيادة صفحاتها واصدارها مرتين كل شهر بدل مرة واحدة اننا نبذل منتهى الجهد فيها . وكل ذلك نراه شيئاً قليلاً بازاء ما نراه من اعتنائهم بها واقبالهم على مساعدتها سواء كان ذلك بوفاء المجلة حقها من غير طلب من الادارة او بحث اصدقائهم على اقتنائها وارسال اسمائهم الينا . وقد وعدناهم في الجزء الرابع انهم سيسمعون عنها قريباً اخباراً تسرّهم وربما ذكرنا ذلك في الجزء التالي او الذي يليه على الكثير

صدر هذا الجزء من الجامعة زائداً عن حجمه الاعتيادي . فهو في ٦٠ صفحة

تدبير الصحة والمنزل

النساء وتدخين الرجال

قالت احدى السيدات لا اعلم كيف يمكن الرجال الذين يدّعون احترام السيدات ان يجلسوا بينهنّ ويضايقوهنّ بالتدخين واغيظ من ذلك ان بعض « الظرفاء » يخرج السيكارة من جيبه او يتناول « ليّ الشيشة » بيده ويلتفت الى السيدات ويقول « اكسكيوز مسز » اتسمحنَ يا ستات ؟ فماذا ينتظر ان يكون الجواب ؟ ... فيشرع يدخن والسيدات يكاد يغشى عليهنّ من رائحة الدخان ولكنهنّ يكظمن غيظهنّ محتملات كعادتهن في كل الامور . وكم من السيدات يتركن الحفلة لشدة تضايقهن

والبعض يكرهن المدخنين كرهاً شديداً . من هؤلاء ان فتاة نظرت خطيبها يدخن ثاني يوم للخطبة فاشمأزت ونفرت واخذت تفتكر فاستاء الخطيب من سلوك خطيبته المجهول وظن انها نادمة فادّى ذلك الى نقض الخطبة

قالت احدى السيدات انا لا اكره الرجل الذي يدخن بشرط ان لا يدخن لدى سيدة سواء في الطريق او في العربة او في الترامواي او في القهوة او في البيت . لانني لا استطيع ان انظر رجلاً جالساً الى جانب سيدة سواء كانت امه او اخته او زوجته او اجنبية عنه وهو يدخن فان ذلك يدل على عدم اعتباره لها وعدم اكتراثه براحتها . فان معظم الوقت له فيجب ان يخصص كل مدة وجودها معه لها ولراحتها . والسيدات لا يطلبنَ ذلك من الرجال الا لاعتقادهن بتمدن رجال هذا الزمان

يروى ان سيدة كارهة التدخين طلبت من زوجها ان لا يدخن في البيت فامتنع واكتفى ان يدخن في القهوة حين يكون وحده فقط . فكان حين يدخل البيت يلاحظ ان زوجته تخرج باسلوب خفي من الغرفة التي هو فيها فحين سألها سبب ذلك قالت انها لا تستطيع ان تشم رائحة الدخان ولا تريده ان يمتنع عنه لانه مغرم به . فلم تحتج اكثر من هذه الاشارة ومن ثم ترك التدخين بتاتاً

ولكن هناك فائدة واحدة للتدخين لكنها بغاية الاهمية تظهر من الحكاية الآتية وهي : بلغنا ان سيدات البوكر يمتنعن عن اللعب لسبب مضايقة الرجال لهنّ بالتدخين على طاولة اللعب . وقد قالت لي احداهنّ لا يكفي ان قلوبنا تحترق بسبب الخسارة والمعاكسة حتى

يزيد الدخان عمى عيوننا . وربما كان التدخين احسن علاج لابطال البوكر فان صح ذلك فلا نعلم اي افضل ان يبطل لعب البوكر او التدخين ؟ (مجلة السيدات)

اجتذاب العالم الجديد

ابناء العالم القديم

﴿ نقولا افندي حداد في نيويورك ﴾ يعرف قراء اللغة العربية حضرة الكاتب الفاضل نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني من عدة كتب اجتماعية وادبية وروايات مفيدة نشرها في السنوات الاخيرة . وهو من الكتاب الجديين النادرين الذين يهذبون نفوسهم وقراءهم بالدرس والبحث والتأمل تشهد له بذلك كتاباته السهلة الرقيقة التي تشف عن اطلاع واسع ودقة نظر وكرم خلق . وهو من متخرجي الكلية الاميركيه في بيروت ونائلي شهادة الصيدلية منها . فلا عجب ان يختار البلاد الاميركية مقاماً له لانه يجد من اللذة والارتياح في الاقامة فيها ما لا يجده الذين لم ينشأوا على المبادىء الاميركية . ويسرنا ان ننشر لحضرات القراء وجمهور الادباء في الولايات المتحدة انه قد وردنا قبل صدور هذا الجزء كتاباً من حضرته يقول فيه انه اختار السفر من مصر الى نيويورك للاقامة فيها . اولاً لرخاء وجمال المعيشة في بلاد عظيمة كاميركا وثانياً لمزاولة صناعته الصيدلية في اجزاخانة ينشئها في احد الاحياء السورية هنا . ولا ريب عندنا في ان جمهور المهاجرين ونخص منهم رصفاءنا اصحاب الاقلام نظماً ونثراً يسرهم انتقال كاتب حقيقي وشاعر حقيقي من كتاب مصر والشام المعدودين الى دار هجرتهم لاننا بحاجة هنا الى رجال جد وعمل يكونون دماً قوياً جديداً في جسم الهيئة الشرقية المهاجرة . والجامعة على الاخص يسرها هذا الانتقال سروراً شديداً للصداقة التي بينها وبينه فضلاً عما تنتظره من قلمه من الفصول المفيدة والمباحث الجليلة لقرائها الافاضل

وقد وصل حضرته الى باريز قادماً من مصر منذ عشرة ايام وسيقيم فيها مدة قصيرة لمشاهدتها وتفقد آثارها . وربما يصل الى نيويورك بعد صدور هذا الجزء باسبوع

﴿ روايتان في كل جزء ﴾ تمت رواية ابن الشعب في هذا الجزء وسنشرح مغزاها الاجتماعي والسياسي والادبي في مقالة تالية . وفي الجزء التالي سنبدأ بنشر رواية جديدة ادبية غرامية اجتماعية غاية في الطلاوة والجمال لكاتب فاضل . هذا غير رواية (مريم قبل التوبة) التي تنشر في ذيل المجلة من تأليف صاحب الجامعة

باب التقريظ والانتقاد

﴿ دليل لبنان ﴾ اهدى الينا حضرة الرصيف الفاضل صاحب جريدة لبنان الغراء نسخة من كتابه المفيد (دليل لبنان) وهو كتاب جدير بكل لبناني وسوري ان يقتنيه لما فيه من الفوائد المختصة بلبنان وجميع شؤونه . وهو يُطلب من (ادارة جريدة لبنان في بيروت)

﴿ مكارم الاخلاق الاسلامية ﴾ هي مجلة دينية تهذيبية تاريخية لجمعية الملاجىء العباسية في الاسكندرية التي يرئسها سعادتلو خليل حمدي باشا حماده امين جمرك الاسكندرية . وقد أُدخلت فيها عدة تحسينات في هذا العام فاصبحت من المجلات التي تبحث ابحاثاً يُلتفت اليها . وقد قرأنا فيها ترجمة للامام مالك (رضه) وهي من افضل ما كُتب . فنثني على القائمين بامرها وعلى محررها الفاضل الذي كتابته فيها تنمّ عليه

﴿ الصحة العجيبة ﴾ الصحة العجيبة في تطهير اناء الشبيبة . رسالة للقس ماير الانكليزي عربها حضرة عيسى افندي الحلو وموضوعها غاية في الفائدة للشبان صحياً واديباً فنحثهم على مطالعتها

﴿ رواية بورت ارثور ﴾ هي رواية لمؤلفها جناب اسعد افندي منصور الحاماتي محرر جريدة مرآة الغرب الغراء وقد بسط فيها وقائع بورت ارثور في الحرب الاخيرة بين الروس واليابان باسلوب رواية تلذ قارءها وزيّنها برسوم بعض القواد والوقائع . وهي تطلب من حضرته في ادارة مرآة الغرب

﴿ مكسيم غوركي وثلاث من رواياته ﴾ عربها عن البورتغالية جناب ابرهيم افندي شحاده فرح صاحب الاثار الادبية في جرائد البرازيل . ومما قاله في المقدمة بعد بيان تاثير غوركي في شؤون روسيا الداخلية (ليس غوركي باعظم من كبار كتابنا المصلحين في مقدرته الكتابية والاصلاحية ولكن الامة الروسية هي غير الامة العثمانية . عندنا كتاب مصلحون ولكن ليس عندنا اناس يسمعون و يشعرون »

﴿ الرفيق ﴾ وردنا الجزء الثاني من مجلة « الرفيق » الهندية التي تطبع باللغة الاوردية في عليكده بالهند فنرحب بالرصيفة الجديدة ونرجو لها النجاح

الفصل الاول

﴿كنوز سليمان﴾

واوهام العوام

كانت قرية «مجدل» او «مجدله» كما يقول كتاب الافرنج قرية صغيرة شبيهة بقرى لبنان في هذا الزمان (١) منازلها مربعة كمنازل فلاحيه الاصاغر واكواخها كاكواخهم وطرقها ضيقة غير منتظمة ولا نظيفة كطرقهم . وكانت القرية منبسطة في ارض تعلوها اكمة لا يعلم التاريخ كيف كان تكونها. فلعلّ الرومان واليونان والفرس حفروا الارض في جوار القرية يطلبون فيها كنزاً كان قد شاع ان الملك سليمان دفنه هناك . او ان الطبيعة نفسها اخرجت من الارض اثقالها بفعل زلزال رفع بقعة وخفض بقعة كما رأينا ذلك رأي العيان في واد الى غربي قرية فيع منذ نحو ١٩ سنة

وفي ذلك النهار الذي جلبت في صباحه الطيور والحيوانات جلبتها التي تقدم ذكرها في المقدمة وصل المكاريان اللذان مرّ ذكرها هناك الى قرية مجدل . وكان طريقهما بجانب هذه الاكمة . فقال احدهما وهو يخز بغله بقضيب في يده . يا يوسف هل ترى هذه الكروم الجميلة والتين الخصب والقمح النامي في هذه الاكمة وما حولها . حقاً ان الله خصنا بنعمة عظمى حين وعد سيدنا موسى بارض هذا خصبها . فاجاب يوسف . يابولس . نعم ان ارضنا خصيبة اما قرأت في كتبنا المقدسة قصة الجاسوسين الذين أُرسلا الى هذه الارض قبل امتلاكنا اياها لتجسس احوالها واخبارها ثم عادا بعنقودي عنب لم يستطيعا حملهما الاّ بمشقة وتعب . ولكن هذا الخصب الذي تراه امامك في هذه الاكمة لم ينشأ عن طبيعة الارض وحدها بل هنالك سرٌّ لا شك في انك سمعت به . فقال بولس كلاً يا اخي في الايمان لم اسمع شيئاً . فقال يوسف : ان سيدنا سليمان حين ضاقت خزائنه بالكنوز التي

(١) رنان

اجتمعت عنده رأي من الحكمة ان يفرّقها ويخزنها لحين الحاجة . فاختار سرًّا عشرة اماكن في ارض الميعاد وخبأ في كل واحد منها احد كنوزه . ثم رغبة منه في ان لا يضلّ مخبأها هو وابناؤه بعده دعا للارض التي خبأ بها كل واحد من كنوزه بمزية تميزها عما حولها . فاستجاب الله دعوته وخصّ تلك الارض بخصب عظيم يختلف عن خصب الارض الاعتيادي . وقد جمع سليمان يومًا اولاده وقال لهم « يا ابنائي حيثما تجدون في مملكتنا بعد موتي ارضًا ممتازة بخصبها فاعلموا ان هناك كنزًا من كنوزي ينفعكم اذا انقسمت الامة عليكم او تمكن من وطنكم المحروس من الله اعداؤه الذين يحاربونكم » وهذه الاكمة التي تراها امامك هي احد كنوزه

فقال بولس وقد اشرق وجهه لله در سيدنا سليمان ما كان اوفر عقله واظهر فضله . ولكن اما خشي سيدنا سليمان ان يلتفت الناس من غير ابنائه التفاتًا خاصًا الى تلك الاراضي لما يرونه من الخصب الممتاز فيها . وماذا يمنعهم بعد شيوع هذا السر من ان يحفروا اليوم الارض لاستخراج تلك الكنوز

فضحك يوسف وقال وهل تظن ايها الساذج انك اعقل وافهم من سيدنا سليمان ملك العقل والفهم والحكمة . فانه لا شك قد فطن الى هذا الخطر ولذلك جعل في كل مخبأ من مخابئ كنوزه حيوانًا هائلاً يرصد الكنز ولا يدع احدًا يدنو منه . اما نظرت ذلك الاسد الهائل الذي لقيناه اليوم عند الفجر في الغابة في طريقنا الى هنا رابضًا تحت التينة بغضب وكبرياء وفوقه نسر جاثم على احد اغصان التينة وهو ينظر في جهة الاسد . لا شك عندي ان هناك احد مخابئ سليمان . لان الارض ممتازة ايضًا بالخصب في ذلك المكان . وفي سفرة اخرى كنت مارًا في اول الليل بجهة جنيسارة وانا انشد وراء بغلي لاخفف مشقة السير والتعب عنه وعني فرأيت حيوانًا هائلاً برأسين وهو تنين مخيف جُعل للرصد هناك . فهل تظن احدًا يقدر على الدنو من هذه الكنوز وهذه الحيوانات الهائلة ترصدها

فوقف بولس هنا وقال ارحمنا يا رب . وهل رأيت الحيوان الهائل الذي يرصد هذه الاكمة في سفراتك الى مجدل

فضحك يوسف ضحكة ذات معنى مخصوص وقال نعم رأيته . ما لك وقفت تقدم ولا تخف فان الوقت نهار . وهذا الحيوان لا يسرح الا في الظلام . .

ثم ضحك هنا ضحكة اشد من الاولى

فقال بولس وقد تابع المسير بوجل . وما شكل هذا الحيوان الهائل اهو اسد ام تنين

ام غيرها

فقال يوسف . هو افعى هائلة يا بولس . هي من الافاعي التي تبتلع البشر كما نبتلع انا وانت حب هذا العنب

قال هذا ثم وثب عن سياج الطريق الى كرمة في بستان هناك فقطف منها عنقود عنب ثم عاد مسرعاً وهو يأكل منه

وكان بولس في اثناء ذلك يفكر بخوف ووجل في الافعى الهائلة . فلما عاد اليه رفيقه قال : انك بعد ذكرك هذه الافعى لو وهبتني بغلك على ان ادخل هذا البستان لقطف هذا العنقود لما فعلت . لانني اعلم ان الافاعي لا يلذ لها شيء كالاختباء والزحف بين الكروم . ولكن اخبرني ما شكل هذه الافعى التي تبتلع البشر . انني اتذكر ان احد رفاقنا في جنيساره قص علينا في احدى السهرات قصة افاعي هائلة توجد في بلاد بعيدة لم يتمكن احد من الوصول اليها حتى هؤلاء الخنازير الرومان الذين بلغوا اطراف الدنيا . وقد قال ان الواحدة منها اذا اصابت خروفاً او عجلاً فانها تبتلعه بسهولة(١) فما هي هيئة هذه الافعى

فقال يوسف ضاحكاً . رأسها كرأس امرأة . وجسمها كجسمها

فدهش بولس وقال . لا شك في انك مازح . يظهر انك لم ترها وتزعم انك رايتها

فقال يوسف . بل رايتها رايتها غير مرة . وان شئت ان تراها معي فهلمَّ الى مكانها

فقال بولس . واين مكانها

فمدَّ يوسف اصبعه نحو بيت في منتصف الاكمة بين سطحها وسفحها وقال : انظر هذا البيت الاسود القائم هناك فانها تقيم في هذا البيت

فقال بولس ضاحكاً . مالي اراك راغباً في المزاح في هذا الصباح . يظهر انك راضٍ عن اجرة الحمل الذي يحمله بغلك اليوم . انني ما عهدت الافاعي تسكن المنازل . ولا ارى هذا البيت اسود كما تقول فانه ذو لون احمر

فقال يوسف اسمع يابولس . انني سميت هذا البيت كما يسميه اهل هذه القرية . فهم يسمونه اسود مع كونه احمر . وهم واولادهم يخشون من الدنو منه ويفرون من قربه فرارهم من الشياطين لانهم يعتقدون ان الافعى التي تسكنه يسكن في جوفها سبعة شياطين . ولذلك ترى مكان هذا الكنز محروساً مصوناً كما لو كان جيش يحرسه . وان اولاد القرية يعبثون بجميع الحقول والكروم الا الكروم التي حول هذا البيت لاعتقادهم نجاستها .

---

(١) هي افعى في الهند معروفة باسم (بوا)

وجهلهم اسباب هذا الخصب الممتاز هنا يعتقدون ان الارض لم تخصب هذا الخصب الا بفعل الشياطين الذين يسكنون بينها · اما الافعى التي تسكن في هذا المنزل فافهم ايها اللبيب انني اردتُ بها افعى بشرية لا افعى حيوانية · اما سمعت بصيت (مريم المجدلية) التي يسكن فيها سبعة شياطين

وكان المكاريان في اثناء هذا الكلام قد تجاوزا الاكمة ودخلا القرية يسوقان بغليهما ويتمان حديثهما · ولم يكادا يتواريان عن النظر حتى انفتحت في البيت المذكور احدى نوافذه بقوة وشدة وظهر في النافذة وجه امرأة تنظر بامعان في جهة الطريق المؤدية من اورشليم الى مجدل

الفصل الثاني

﴿ في البيت الاسود ﴾

ألم مريم الخفي غير المها الظاهر

كان البيت الاسود مبنياً في منتصف الاكمة بين الكروم والزروع · وكان مؤلفاً من ثلاث غرف صغيرة مربعة يُدخل من احداها الى الاخرى وكانت احدى الغرف مطبخاً والثانية مقعداً والثالثة غرفة نوم · وكان في غرفة المقعد سرير من خشب وعليه فراش · وكانت هذه الغرفة مزينة بسلامة ذوق الا ان الزينة الجميلة كانت لغرفة النوم · فقد كانت الازهار الطبيعية والصناعية منظومة باقات باقات ومصفوفة في زوايا هذه الغرفة ورفوفها وعلى مائدتين فيها فاذا فُتحت نافذتان كانتا في جدارين فيها وُنظرت منها الاشجار حول البيت تتدلى باغصانها نحو النافذتين وهي مثقلة بالزهر والثمر وشوهد النبت الطبيعي والزهر البري الذي كان يغطي الارض حوله خُيل للناظر ان داخل الغرفة المذكورة مختلط بالحديقة في خارجها وكأنه جزء منها وتتمة لها

وكان في سرير غرفة النوم في ذلك الصباح امرأة راقدة على جنبها الايمن ويدها اليمنى في اثناء رقادها تستر وجهها · وكان لها في رقادها منظر يشبه منظر الاطفال لو لم يكن يمازجه شيء من لوائح الالم والاضطراب · او ان شئت فقل ان منظرها كان كمنظر طفل

رقد وهو باكٍ متألم فانطبعت دلائل الألم في سحنته في الساعة الاولى من رقاده

ويظهر ان المرأة عقدت النية قبل رقادها في الليل ان تنتبه باكرًا ولذلك ما فتحت جفنيها وتمطت قليلاً حتى وثبت بغتة. كانها نسيت امرًا وخافت فوات وقته . فاستوت في فراشها وصاحت باشد صوتها : حنة حنة

فدوى صوتها في فضاء الغرف الثلاث برخامة وبحةٍ لانه كان اول صوت خرج من حلقها بعد رقاد بطلت فيه حركته واستعماله . وكأنها قد اطالت السهر ليلة امس لان الضعف كان ظاهرًا في وجهها لذبول عينيها وارتخاء جسمها فضلاً عن بحة صوتها

ولما رأت المرأة انه لم يجاوبها احد على صراخها صرخت ثانية بصوت اشد : حنه حنه . قد انتصف النهار

فاجاب هذه المرة صوت خارج من غرفة المقعد . صحوتُ صحوت . ثم سُمع لصاحبة هذا الصوت تاوه وتافف لا يُعلم هل كان ناشئًا عن تحسر لامر فيه الم او عن تمطٍ لاعادة اعضاء جسمها بعد الرقاد الى حالتها الطبيعية من الخفة والمرونة

فقالت المرأة الاولى بصوت رفيع ايضًا . اني مريضة في هذا النهار انهضي وانظري من النافذة لعلك ترينه قادمًا

فنهضت حنه من فراشها في غرفة المقعد وهي تتثاءب وتترنم بنشيد هذه ترجمته

صحت الازهار والطيور * وهو لم يصحُ بعد
ليس ذا من دمه الثقيل * ولكن من السهر الطويل
يا حياتي يا قصيرة * امتلئي بلا فراغ
فحياتي في فنائي * وفنائي لي حياة

ولما بلغت حنه النافذة فتحتها واطلت منها ثم قالت . انني لا ارى على الطريق احدًا غير مكارين وراء بغلين يتحادثان ويلتفتان الى هذا المكان

فقالت المرأة الاولى لله ما اثقل هذا الروماني . الم يعدكِ انه ياتي في هذا اليوم

ولكنها ما اتت على هذا الكلام حتى مُدت من احدى نوافد البيت في الخارج عنق رجل وقال : ليس جميع الرومان ثقلاء . اتسمحان لي بالدخول لأُذهب عنكما ملل انتظار بوليوس

فضحكت حنه واما المرأة الاولى فضحكت ضحكة اغتصابية ثم قالت . هذا انت يا شيشرون . ادخل حقًا ليس جميع الرومان ثقلاء

فسارت حنه وفتحت الباب فدخل منه شاب في نحو الثلاثين من العمر . والذي لم يرَ هذا الشاب من قبل يعجب لشكله الغريب . فقد كان نحيف الجسم قصير القامة كانه من الاقزام وكان جسمه الصغير مشوهاً تشويهاً مضحكاً فقد كان محدوباً كانه يترامى نحو الارض قبل الاوان وبين كتفيه دملة كبرى طبيعية تظهر من وراء ثيابه اما راسه فكان ضخماً ووجهه اصفر لحياً ولا تناسب بينهما وبين جسمه الصغير الضئيل . وقد كان فمه اذا فتحه للكلام اشبه شيء بمغارة واسعة تحت انف ضخم مفلطح وشاربين ليس فيهما سوى بضع شعرات صغيرة . الّا ان عينيه الكبيرتين الحادتين فوقهما كانتا تدلاّن على ان الطبيعة التي خصته بذلك الجسم المشوه القبيح قد عوضته قوة في نفسه كانت تظهر في كل نظرة من نظراته . وكان في يده عصا من رمان يتوكأ عليها موازنة لجسمه المترامي نحو الارض

فلما دخل هذا الشاب قالت له المرأة الاولى بعد السلام كيف ترى نفسك يا شيشرون في بلادنا هل انستك رومه

فتاوه الشاب وكان يدعى شيشرون كما رايت وقال . "جميع البلاد سواء لديَّ فانني ابن الارض لا ابن رومه . ولم يلذ لي في حياتي شيء كجلوسي حيناً بعد حين تحت صفصافة قريبة من هذه الاكمة حيث اطالع مؤلفات سنيكا وايخيلوس وازوب

فهنا صاحت حنه بضجر "لا تبدأ بالفلسفة يا صديقنا شيشرون . اذهب وادعُ دعوتك خارج هذا البيت . اما هنا فان شئت بسطنا وشرح خاطرنا فحادثنا عن زهرة جميلة قطفتها من البرية او امرأة ظريفة شاهدتها في طريقك وابتسمت لك . او نادرة عن بعض سيدات اورشليم الفاضلات " . اسمعت ايها الفيلسوف المضجر

فنظرت المرأة الاولى هنا الى حنه نظرة سآمة ثم التفتت الى شيشرون وقالت "لا تعبأ بكلام هذه المرأة الخفيفة عقلاً وروحاً يا عزيزي شيشرون فانت تعلم من حديثي الطويل معك اول امس في ظل النخلة التي هناك انني ارتاح الى الاصغاء الى حديثك في اي امر كان " فاخبرني هل عزمت على الاقامة في بلادنا ام تنوي العودة الى رومه بلاد العظمة والعظماء

فقال شيشرون : انني افضل ان اكون اول انسان في هذه البلاد الصغيرة على ان اكون آخر انسان في تلك البلاد الكبيرة . ولست اعتب على اختك حنه لضجرها من كلامي ومواضيع حديثي ذلك لانني اعرف قلوب النساء . اي نعم اني اعرف قلوبهنَّ ونفوسهن الخفيفة الطائشة التي لا يلذ لها شيء كالاشتغال بالعواطف والاوهام . ولذلك ترين على

الدوام مسافة الخلاف بين اذواقهن وذوقي . واميالهن واميالي شاسعة جداً . عفواً اذا ساءك كلامي ايتها السيدة مريم . انني استغرب حكمة الآلهة السخيفة التي خلقت في الارض كائناً كالمرأة خفيفاً طائشاً هاذراً هاذياً على الدوام . ولذلك لا احترم النساء الا المرأة التي تكون لها صفات جدية قوية كصفات الرجال . مثلك مثلاً ايتها السيدة مريم

وكانت مريم « وهي المرأة الاولى » قد اصبحت مبهوتة مفكرة في اثناء كلام شيشرون . اما حنه فكانت تنظر اليه وهي تضحك بازدراء كانها تقول له بضحكها هذا : لو رأيت في حياتك يا صاحب الجسم القبيح امرأة تحبك او تنظر اليك لتبدل رأيك في النساء من طرف الى طرف

وفي هذا الحين سُمع في الخارج على الطريق بجانب البيت صوت ركض جواد فهرعت مريم وحنه نحو النافذة وبعد نظرهما فيها صاحتا معاً . هذا يوليوس . ولما صار الفارس وفرسه على موازاة البيت في الطريق مرَّ كالسهم بين بضعة اولاد من القرية كانوا يلعبون هناك . فقال احدهم لآخر بعد مروره هذا خنزير روماني . ولما عطف الفارس وفرسه صاعداً نحو البيت الاسود بهت الاولاد وصاروا ينظرون بعضهم الى بعض . ثم قال احدهم : لو لم يكن هؤلاء الرومان شياطين لما كانوا يجسرون على الدنو من بيت يسكنه سبعة شياطين

وكان الفارس القادم شاباً في آخر دور الشباب لانه كان يناهز الثامنة والثلاثين . وكان طويل القامة منتصباً على ظهر جواده كأنَّ جسمه الف الهجاء . وكان ذا لون ناصع البياض وشار بين اشقرين جميلين وعينين زرقاوين فيهما قوة وكبرياء تدل على انهما من سلالة جنس الف السيادة والعظمة ولم يجز عليه نير . واذا كان ذلك لا يكفي الناظر اليه للدلالة على انه كان رومانياً لا شك فيه فقد كان انفه النسري الدقيق يثبت له هذه الصفة . وكان التأثير الذي ينبعث من وجهه وجسمه اجمالاً مما يروق النظر وينشئ في النفس ارتياحاً الى منظر كهذا لمنظر جامع لقوة الرجولية وعزتها وخفة الشباب ورقته بين جنس بدأ يحني عنقه للذل

فربط الفارس فرسه في غصن كرمة بجانب البيت ثم دخل اليه . فاستقبلته مريم وحدها . اما حنه فكانت قد اختبأت بسرعة مع شيشرون في غرفة المقعد

فقالت له مريم ضاحكة وهي تصلح شعرها بيدها . لقد ابطأت علينا ايها العزيز فهل شغلتك سيدات اورشليم عنا

فقال الشاب . انك ترين في وجهي ايتها العزيزة انني في اشتغال بال . فلا سيدات اورشليم ولا ممازحاتنا الاعتيادية تشرح صدري في هذه الايام . فقد دهتني مصيبة

منعتني من زيارتك منذ ١٥ يوماً وليس لي قوة على ان اذكرها لك الآن

فدهشت مريم وقالت بحزن . كل شرٍ يصيبك ايها العزيز فانما يصيبني . لقد شغلت بالي وهجت بلبالي . ما هذه المصيبة يا يوليوس

فقال يوليوس . وردتني من رومه اخبار سيئة جداً . فان ابي خسر جميع امواله واعدائي هناك لا يكفون عن الوشاية بي لدى اولي الامر وربما تمكنوا من عزلي من المهمة السرية التي أُنفذتُ الى هذه البلاد من اجلها كما تعلمين . ولذلك اصبحت مضطراً للعودة الى رومه . وهذه آخر زيارة مني لك ايتها العزيزة

فهنا ازدادت دهشة مريم وعضت شفتها من الغضب والغيظ . ولكنها تغلبت على نفسها وقالت . اتذهب وتتركني وحدي . لماذا لا تصطحبني

فضحك يوليوس ضحكة حزن وقال : ان في رومه كثيرات من السوريات واليهوديات الجميلات ايتها العزيزة لان الرومانيين يحبون هذين الجنسين . فلا مانع يمنعني من اصطحابك . ولكن تذكَّري ان ابي قد خسر جميع امواله وانني ساصبح مضطراً الى الاستخدام لا تمكن من المعيشة اذ من الراجح لديَّ انني سأُعزل من وظيفتي . وقد جئت الآن اودعك واؤدي لك آخر واجب عليَّ

قال هذا ثم مدَّ يده الى جيبه فاخرج منه كيساً مملوءاً بالنقود فوضعه على مائدة هناك ثم قال ارجو ان تقبلي هذا الكيس تذكاراً مني . ثم اخذ يدها بين يديه وقال . كلما تنزهتِ هناك على سطح الاكمة في الليالي المقمرة بين الكروم والنخيل والتين والرمان ارجو يا مريم ان تذكريني

وكانت مريم جامدة مبهوتة في اثناء هذا الكلام لا يتحرَّك منها شيء حتى عيناها . ويظهر ان حديث يوليوس قد احدث ثورة في نفسها ولذلك ذهب منهما الفتور والذبول اللذان كانا فيهما منذ نحو نصف ساعة وحلت محلها الكبرياء والحماسة . وقد نظر يوليوس دمعة تترقرق في تلك العينين الزرقاوين الجميلتين فاثر دمعها في نفسه . فلم يتمالك ان تنهد وقال :

لماذا تبكين ايتها العزيزة . انني ما زلت احبك كما كنتُ من قبل . واعدك انني اذا اصلحت اشغالي وتمكنت من العودة الى هذه البلاد فان اول عمل اشرع فيه هو كما وعدتك سابقاً ان نبني بيتاً لنا في جوار اورشليم لنعيش معاً بشرف وراحة وسلام . فامسحي دمعك ايتها العزيزة فانه يصدع قلبي ويؤلمني في سفري